صفحات مضيئة

من سيرة الشيخ

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

(١٢٩٤ - ١٣٧٣هـ)

عماد الكاظمي

منشورات معالم الفكر

صفحات مضيئة

من سيرة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

(١٢٩٤ — ١٣٧٣هـ)

عماد الكاظمي

الكتاب: صفحات مضيئة من سيرة الشيخ محمد الحسين
آل كاشف الغطاء
المؤلف: عماد الكاظمي
الطبعة: الأولى
الناشر: معالم الفكر / العراق – الكاظمية.
لبنان – حارة حريك مجاور مسجد الحسنين.
السنة: ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٧٧٣) لسنة ٢٠١٢م

الإهداء:

- إلى مَنْ نَذَرَ نَفْسَهُ لإِحْيَاءِ تَعَاليمِ الشَّريعَةِ المُقَدَّسَة ..

- إلى مَنْ آثَرَ خِدْمَةَ المُجْتَمَعِ الإِسْلامِيِّ عَلى نَفْسِه ..

- إلى مَنْ وَقَفَ بِوَجْهِ المُسْتَعْمِرينِ وَقْفَةَ صُمودٍ وَإِبَاء ..

- إلى تِلْكَالروحِ التي بُعِثَتْ فِي المُسْلِمينَ مِنْ جَديدٍ .. لِتُعَلِّمَ الأَجْيَالَ مَعْنَى المَبَادِىء وَالتَّضْحِيَات ..

- إلى الشَّيْخِ مُحَمَّد الحُسَيْنِ آلِ كَاشِفِ الغِطَاءِ مِنْ عَالَمِ الفَنَاءِ إِلى عَالَمِ الخُلودِ السَّرْمَدِيِّ .. أرجو القبول

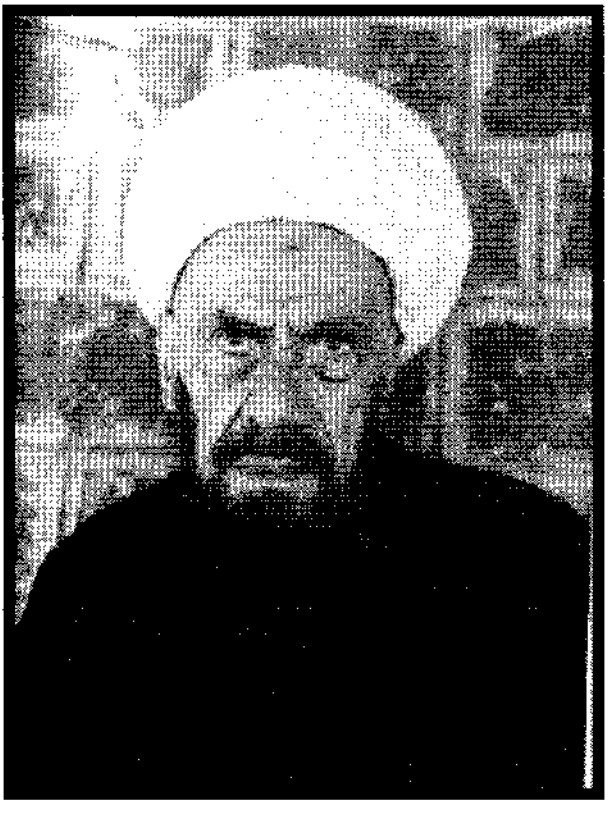

المصلح المجدد الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين ..

إنَّ الحديث عن علماء الشيعة ومواقفهم في الدفاع عن الشريعة المقدسة من أهم الأحاديث في مختلف العصور، وخصوصاً في العصر الحديث إذ المواقف الكبيرة التي كانت -وما زالت- لها أثرٌ كبيرٌ في العالم الإسلامي، وجدير بالباحثين المنصفين والجادين في نشر الحقيقة أنْ يهتموا بها ويسلطوا الضوء عليها، والعلامة المصلح، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (قدس سره) أحد أولئك الأعلام الذين كان لهم أبلغ الأثر من بين علماء المسلمين ومصلحيهم، من خلال تلك المواقف المشرقة التي سجلها التأريخ له، سواء في مواقفه في الدعوة إلى توحيد المسلمين وإصلاح شؤونهم أو من خلال مشاركاته السياسية والاجتماعية ومشاريعه الإصلاحية المختلفة، فضلاً عن علومه ومؤلفاته القيمة التي هي ثروة علمية أغنت المكتبة الإسلامية في مجالات شتى، ومَنْ يتصفح تلك المؤلفات التي كتبها (قدس سره) يعترف بحقيقة لا يشوبها أي انحياز أو عاطفة أنَّه (أُمَّةٌ في رَجُلٍ)، نعم إنه أمة من أمم التأريخ، فمن أين تأتيته يصيبك العجز والإعياء عن الإحاطة به، فإنَّ مواقفه تُدهش العقول، وتحير فيها الألباب .. حيث تلك الهمة والعزيمة والإخلاص والتفاني من أجل الشريعة المقدسة والمسلمين، بل والإنسانية كلها، لهذه الأسباب وغيرها عزمتُ أنْ أكتب هذه الصفحات المضيئة عنه لأهمية التعريف ببعض أفكاره العلمية والإصلاحية،

ولحاجة أمتنا اليوم إلى معرفة حقيقة آبائها وعلمائها وساداتها؛ لتتّقد الهمم نحو العلم والعمل والجهاد، ونبذ الجهل والكسل، ولتنظر إلى تلك الأمجاد التي كانوا عليها، فلعل في ذلك ذكرى من السبات والضياع، إذ القلوب تُكوى من ذلك غماً وألماً وهي ترى ما حلَّ بالمسلمين من التراجع والتقهقر، والإسراع وراء الشهوات واللذات، والانصياع لأعداء الإسلام والإنسانية، والأمة فاقدة الأمل من نفسها وأبنائها، وهذا داء عضال، وأمر خطير، وعلى المصلحين والمفكرين أنْ يعالجوه، ويبينوا للناس أسبابه ليقلعوه من نفوسهم، لا أنْ يقفوا مكتوفي الأيدي، معصوبي الأعين، وكُلٌّ يقول ماذا نفعل وقد سرى ذلك في المجتمع وتحكَّم فيه !! وهذا - صراحة- من ضعف النفس وتقاعسها، وتسويلات الشيطان وأهوائه، بل إنَّ التصدي لذلك هي مسؤولية الجميع، وخصوصاً من العلماء والمصلحين والمفكرين، فهذه هي رسالة الأنبياء والأوصياء في مجتمعاتهم .. وهذه هي المبادئ التي آمن بها المصلح الكبير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (قدس سره) وعمل عليها، وضحَّى من أجلها، وتحمَّل بسببها ما تحمَّل من المعاناة، بل جعلها خالدة لا تطويها صفحات الدهر مهما قدمت ومرت الأيام والأعوام، فلو أننا تصفحنا تلك المؤلفات لرأينا تلك الروح حية بين ظهراني المسلمين، ويجب علينا أنْ نستمد من ذلك العطاء والأمل والروح بعد أنْ عانى المسلمون كثيراً من الأخطار والمشاكل التي أدت إلى تراجعهم وآبتعادهم عن شريعتهم.

فالشيخ (قدس سره) هو أحد أولئك الأعلام في العصر الحديث، بل من أعاظمهم الذين دافعوا عن الشريعة المقدسة بكُلِّ ما أوتوا من قوة وعزيمة، وهذا ما نحاول إنْ شاء الله تعالى أنْ نستعرضه في بحثنا المتواضع من خلال محاور خمسة

بعد مقدمة وتمهيد نسلط الضوء على مواقفه الخالدة في الدفاع عن المسلمين وعقائدهم وأوطانهم ومبادئهم، وما لتلك المواقف من الفخر والاعتزاز الذي يحس به كُلُّ إنسان يطلع على ذلك وما تنطوي فيها من دروس وعبر.

وهذه المحاور هي كالآتي:

- المحور الأول: موقفه في نشر العقيدة الإسلامية الخالصة وبيان حقيقة المبادئ الإسلامية.
- المحور الثاني: موقفه في تطهير المجتمع الإسلامي من مظاهر الفساد.
- المحور الثالث: موقفه في إحياء الروح السامية عند الشباب المسلم.
- المحور الرابع: موقفه تجاه القضية السياسية في العراق وبيان صلاحها.
- المحور الخامس: موقفه تجاه قضايا البلدان الإسلامية وما تعانيه.

إننا لو أمعنَّا الفكر والنظر في كُلِّ محور من هذه المحاور الخمسة لرأينا أنَّ كلاً منها هو عنوان لبحث متكامل، ولا تفيه سطور أو صفحات؛ لما للشيخ (قدس سره) من كلمات ومواقف عظيمة في ذلك، بل يحتاج كُلُّ واحد منها إلى دارسة مستقلة، والأمر -حقيقة- كذلك، بل هو أعظم من ذلك، لكننا نحاول أنْ نسلط الضوء على ذلك إجمالاً لإيقاد الهمة في أنفسنا وأنفس إخوتنا الباحثين والمفكرين حول تلك القضايا، وبيان أهمية البحث في هذه الموضوعات في هذا الوقت وهذه المرحلة من المراحل التي تمر بها الأمة الإسلامية من الانكسار والهوان في باطنها وظاهرها، فلعل بعض هذه الكلمات -إنْ سُمِعت- توقظ تلك النفوس، وتشحذ تلك الهمم نحو العلو والرفعة، والتفكر والتأمل، والعمل نحو الصلاح والإصلاح والدعوة لهما، والاعتزاز والفخر بذلك الإرث العظيم، والمجد التليد، فلا يحسبنَّ الأمر مجرد كلمات ونظريات، بل إنها رسالاتٌ ودعواتٌ للصلاح والإصلاح في

المجتمعات؛ لأنَّ علماءنا على يقين أنَّ الإسلام لا تحدُّه حدود الطائفة والوطن والبلدان، وإنَّ وجوده ووحدته فوق كُلِّ ذلك، وإنَّ المسلمين في أيِّ بقعة كانوا فإنَّ الحبل بينهم ممدود متصل، ولا يمكن لحدود البلدان أنْ تقف عائقاً يوماً أمام المبادئ والمعتقدات، ولكنها وإنْ حالت يوماً بيننا ظاهراً فعلينا أنْ نعلم أنَّ هذا هو أثر ٱبتعادنا عن الشريعة المقدسة التي هي كالشمس تبعث أشعتها في كلِّ مكان.

إذاً علينا أنْ نتفكر بأحوال المسلمين من خلال مواقف العلماء والمصلحين؛ لنعالج كُلَّ المشاكل والأعراض التي تعتري مجتمعاتنا، تمهيداً لدولة العدل الإلهي التي نرغب أنْ تكون كريمةً، يُعَزُّ بها الإسلامُ وأهله، ويذَلُّ بها النفاق وأهله، إنه سميع مجيب.

الكاظمية المقدسة

الجمعة ٤ ربيع الآخر ١٤٣٤هـ

٢٠١٣/٢/١٥م

التمهيد

لمحة موجزة من سيرة الشيخ

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

تمهيد: لمحة موجزة من سيرة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.

نحاول في سطور متعددة -إجمالاً- أنْ نعرِّف بالمصلح الكبير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (قدس سره) [1]؛ ليكون القارىء مطلعاً على هذه السيرة الكريمة التي تفتخر بها أمتنا الإسلامية ثم نعرج بعد ذلك على محاور البحث ..

١ - أسمه ونسبه:

هو الشيخ محمد الحسين بن الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى بن الشيخ الأكبر جعفر (صاحب كشف الغطاء) بن الشيخ خضر بن يحيى بن سيف الدين المالكي الجناجي النجفي.

---

[1] إننا لم نقصد من هذه الصفحات كتابة سيرة الشيخ (قدس سره)، بل بيان بعض تلك الصفحات المضيئة لكلماته الخالدة من خلال مؤلفاته القيمة، ولقد أصدرت مكتبة الإمام كاشف الغطاء العامة في النجف الأشرف كتاباً محققاً بعنوان: (عقود حياتي) للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء بتحقيق حفيده الشيخ أمير كاشف الغطاء يتناول مذكراته من العقد الأول على العقد الثامن ، ويُعد هذا من أهم الأسفار التي وَثَّقت سيرته (قدس سره) بخطه، إذ يحوي على معلومات مهمة جداً من تأريخ حياته، وتأريخ المرجعية الدينية، والبلاد الإسلامية وغير ذلك، فلا يمكن للباحث أنْ يستغني عنه لأهميته، فللهِ دَرُّهم، وعلى الله أجرهم، وبوركت هذه الجهود الكبيرة لإحياء تراث علمائنا.

٢- ولادته ونشأته:

ولد الشيخ في بيت تفوح من جنباته عبقات العلم والسؤدد والشرف، بيت يطفح بالعلماء والفضلاء، والأساتذة النجباء، فاشتد عوده وآستقام، وأمتدت عروقه بعيدة في تلك الأرض الخصبة المعطاءة، فكان بحق خير خلف لخير سلف، ونعم الابن لتلك الأسرة الطاهرة، فأسرته من الأسر العلمية التي لها أثر في النجف الأشرف، وقد أشتهر أعلامها بالعلم والمعرفة والتدريس في مدارسها، فضلاً عن الخدمات الاجتماعية والنشاطات الأخرى، وكانت سنة ولادته (قدس سره) (١٢٩٤هـ/١٨٧٧م) في مدينة النجف الأشرف، وقد أرَّخ الشاعر السيد موسى الطالقاني (رحمه الله) ولادته بقوله:

سُرورٌ بِهِ خُصَّ أَهْلُ الغـرِي ... فَعَمَّ المَشارِقَ وَالمَغْـرِبَـيْن

بِمَولَدِ مَـنْ فِيـهِ تَـمَّ الهَنـا ... وَقَرَّتْ بِرُؤيـتَهِ كـلُّ عَين

وَقـدْ بُشِّرَ الشَرْعُ مذْ أَرَّخـوا ... سَتُثْنَى وَسايدُهُ لِلحُسَـيْـن [1]

١٠٢٠ / ٨٦ / ١٨٨

---

[1] ديوان السيد موسى الطالقاني ص٢٦٠ ، وقد ورد في موارد أخرى أنَّ ولادته كانت سنة (١٢٩٥هـ)، ولكن الصحيح هو ما ذُكِرَ، إذ إنَّ السيد محمد حسن الطالقاني قال في تحقيق الديوان: نقلتها [الأبيات] عن خط والده [أي الشيخ محمد حسين] الشيخ علي من كراريس توجد عند الأخ العلامة الشيخ علي آل كاشف [illegible] الطالقاني وذي خالة [illegible] ولد في

لم يتجاوز أعتاب عامه العاشر حتى كان ينهل من علوم العربية وفنونها كالبلاغة والمعاني والبيان، فوجد فيه أساتذته ميلاً واستعداداً كبيراً للاستزادة من هذه العلوم الرائعة والفنون العظيمة، فتولّوه بالاهتمام والرعاية حتى أستطاع تجاوز جميع تلك المراحل دون أي تردد.

أنهى دراسة سطوح الفقه والأصول وهو بعد شاب، ثم بدأ الحضور في دروس أكابر العلماء كالشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد اليزدي وآغا رضا الهمداني وأضرابهم، ولازمهم سنين طوالاً حتى برز بين أقرانه وحظي باحترام وأهتمام أساتذته.

ولما لمع نجمه ونبغ شرع في التدريس في مسجد الهندي وكان درسه يضم من الفضلاء ما يربو على المائة .. وكان له أهتمام بدراسة الفلسفة والحكمة ومناقشة آرائهم إذ يقول في كتابه "الدين والإسلام": ((تدبَّرتُ في مأثورِ الحكماءِ الراسخينَ، والعرفاءِ الشامخينَ، وسرتُ في جملةٍ مما حققوا وبيَّنوا، وسبرتُ جملاً مما صنَّفوا ودوَّنوا، فعرفتُ عظيمَ جدِّهم وعنائهم)). [1]

الرابعة والتسعين بعد المأتين، سميته بمحمد حسين وهو سرورٌ إلخ. ص٢٦٠ ، وذكر ذلك الشيخ أغا بزرك الطهراني في كتابه "طبقات أعلام الشيعة" ج١٤ ص٦١٢ ، وورد كذلك في كتاب "الأعلام" لخير الدين الزركلي ج٦ ص١٠٦ ، وكتاب "معجم المؤلفين" لعمر رضا كحالة ج٩ ص٢٥٠ ، وهو ما رجحته الباحثة نوره كطاف هيدان في رسالتها للماجستير "الفكر السياسي للشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء" ص٣

[1] ص٣

ولقد كان الشيخ إضافة لما يمتلكه من أسلوب أدبي رفيع يتأمله القارىء من خلال كتاباته ومقالاته، فإنه ينظم الشعر في مناسبات معينة.

فله في الحث على التوحيد والدفاع:

نَهَضْتُ فقيلَ أَيُّ فتىً، فلمَّا ... خَبَرْتُ القَوْمَ طابَ لِيَ القُعودُ
وَإِنِّي بَعْدَ مَجْهَدَةٍ، وَقَوْمي ... كَضَارِبَةٍ وَقَدْ بَرَدَ الحَديدُ
وَحيدٌ بَيْنَهُمْ وَلَعَلَّ يَوْماً ... عَصيباً فيهِ يُفْتَقَدُ الوَحيدُ
لَنا في الشَّرْقِ أَوْطانٌ ولكِنْ ... تَضيقُ بِنا كَما ضَاقَتْ لُحودُ
نُقيمُ بِها عَلى فَقْرٍ وَذُلٍّ ... وَنَظْمَأُ، لا يَسُوغُ لَنا ورودُ
مَواعيدُ السِّياسَةِ بَيِّناتٌ ... تَكيدُ بِها السِّياسَةُ مَنْ تَكيدُ
وعودٌ كُلُّها كَذِبٌ وزورٌ ... فكَمْ وَإلى مَ تَخْدَعُنا الوعودُ
إذا ما المُلْكُ شُيِّدَ على خِداعٍ ... فلا يَبْقى الخِداعُ ولا المشيدُ
إذا لَمْ تَبْتَنِ مُلْكاً صَحيحاً ... فَلا تُغْني الجُيوشُ وَلا البُنودُ

وله في الدعوة إلى الوحدة والسلم:

هَلُمَّ نَعِشْ بالسِّلْمِ عَصْراً فإنَّنا ... قَضَيْنا عُصوراً بالتَّضارُبِ واللَّدْمِ
يَقُولونَ للإِصْلاحِ نَسْعَى و رُبَّمَا ... طَلَبْتَ الشِّفَا فَازْدَدْتَ سُقْماً عَلى سُقْمِ
إذا كَانَتِ الأَفْعَالُ نَثْراً نِظَامُهَا ... فَلا خَيْرٌ في نَثْرِ المَقَالاتِ والنَّظْمِ
وَكُلُّ فَتًى يَبْغِي العُلا غَيْرَ إنَّنا ... كَمُقْتَنِصٍ صَيْداً يَسومُ وَلا يَرْمي
يُرَحِّبُ صَدْرِي بِالهُمُومِ لأَنَّنِي ... أَرَى هُمومِي تَخْبو فَيُوقِدُها هَمّي

أَرَى أُمَماً تَـدْعُو العِلْـمَ لَهَـا أَبـاً ... وَفي دَرْسِ عِلْمِ الـنَّفْسِ أُكْثُرُهـا أَمِّـي
ومَا كُلُّ عِلْمٍ يَجْلِبُ السَّعْدَ للفتـى ... وَيَرْقَى بِـهِ مِـنْ وَهْـدَةِ الـنَّقْصِ لِلْـتَمِّ
إِلَيْكُمْ بِنِي الأَدْيَـانِ مِنِّـي دَعْـوَةٌ ... دَعَـوْتُكُمْ فِيهـا إِلى الـشَّرَفِ الجَـمِّ
إِلى السِّلْمِ فِكُمْ وَالتَّسَاهُلُ بَيْـنَكُمْ ... فَيَـا حَبَـذا شَـرْعُ التَّـسَاهُلِ وَالـسِّلْمِ

٣- مؤلفاته:

للشيخ مؤلفات كثيرة إضافة إلى المقالات النفيسة والقصائد البديعة التي نشرت في أمهات الكتب، نذكر منها:

١- الآيات البينات في قمع البدع والضلالات.

٢- الأرض والتربة الحسينية.

٣- أصل الشيعة وأصولها.

٤- تحرير المجلة.

٥- تعليقة على سفينة النجاة.

٦- تعليقة على عين الحياة.

٧- التوضيح في بيان حال الإنجيل والمسيح.

٨- جنة المأوى.

٩- حاشية التبصرة.

١٠- الدين والإسلام، أو الدعوة الإسلامية إلى مذهب الإمامية.

١١- زاد المقلدين (فارسي).

١٢- السؤال والجواب.

١٣- شرح على العروة الوثقى.

١٤- العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية.

١٥- الفردوس الأعلى.

١٦- محاورة مع السفيرين الأمريكي والبريطاني .

١٧- المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون.

١٨- المراجعات الريحانية.

١٩- مناسك الحج.

٢٠- وجيزة الأحكام. وغيرها كثير من مطبوعات ومخطوطات

٤- رحلاته ونشاطاته:

ومن السمات المميزة لحياة الشيخ كاشف الغطاء (قدس سره) رحلاته المتعددة وأستثمارها، ونشاطاته المتنوعة، خصوصاً في نشر صوت مذهب الإمامية، والدعوة إلى وحدة الكلمة بين المذاهب الإسلامية عموماً من خلال النقاش الموضوعي، وقد أتصل بكبار العلماء ورجالات الفكر، وجرت معهم محاورات ومراسلات متعددة، من جملتها محاورته مع أمين الريحاني، وناقش ضمن هذه المحاورات جرجي زيدان حول مؤلفه "تاريخ آداب اللغة العربية" وأظهر الكثير من شطحاته، وناقش كذلك الشيخ يوسف الدجوي أحد مدرسي الجامع الأزهر، والشيخ جمال الدين القاسمي عالم دمشق حينها، ونشر خلال هذه السفرة عدة مؤلفات له، ونشر عدة كتب لعدة مؤلفين وأشرف على تصحيحها والتعليق عليها، وقضى ثلاث سنوات في سوريا ولبنان ومصر، ووافق عودته إلى العراق سنة

١٣٣٢هـ نشوب الحرب العالمية الأولى فقضى سنيِّها في سوح الجهاد بصحبة السيد محمد -ولد أستاذه السيد اليزدي- ورجع إلى النجف الأشرف عند أنتهائها. وفي سنة ١٣٣٨هـ رجع إليه في التقليد خلق كثير، وفي سنة ١٣٥٠هـ أنعقد المؤتمر الإسلامي العام في القدس الشريف، ودُعي من قبل لجنة المؤتمر مراراً فأجاب الدعوة، وألقى في المؤتمر خطبة أرتجالية ظهر فيها فضله وعظمته[1]، فقدمه العلماء وأئتموا به في الصلاة، وفي عام ١٣٥٢هـ زار إيران وبقي فيها حدود ثمانية أشهر داعياً الناس إلى التمسك بمبادئ الدين الحنيف، وفي سنة ١٣٧١هـ حضر المؤتمر الإسلامي في كراجي.

٥- وفاته ومدفنه:

عانى الشيخ أواخر أيامه من عدة أسقام، ولما أشتد عليه مرضه سافر إلى بغداد ورقد في المستشفى شهراً، فاقترح عليه بعض الذهاب إلى (كرند) في إيران لطلب الصحة، فقصدها في ذي القعدة سنة (١٣٧٣هـ) لكن الأجل لم يمهله، فوافاه بعد

---

[1] إنَّ خطاباته الارتجالية صفة بارزة من أهم صفاته وقد ذكرها كُلُّ من أستعرض سيرته، قال خطيب الكاظمية الشيخ كاظم آل نوح (رحمه الله) في أحد مجالسه الحسينية بعد ذكره دعوته لفلسطين ما نصه: ((فإنه كان كبحرٍ متلاطمٍ في مختلف العلوم .... وكان إذا صعد المنبر وتكلم فهو كالسيل المنحدر من رؤوس الجبال لا يتوقف ولا يتلعثم؛ وذلك لكثرة ما عنده من العلوم المتنوعة))، بل قال فيه كلمة عظيمة توثق مكانته في تلك المرحلة بقوله: ((كان مجهولاً في عصره كما كان أمير المؤمنين "عليه السلام")). التسجيل الصوتي لمجلسه في مسجد الشريف المرتضى في الكاظمية المقدسة بتاريخ ١٣ شهر رمضان ١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٦/٤/٢٥م.

صلاة الفجر يوم الاثنين ١٨ ذو القعدة ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٤/٧/١٩م فنقل جثمانه الشريف إلى النجف ودفن في مقبرته الخاصة التي أعدها سلفاً في وادي السلام، وأقيمت له مئات الفواتح في العراق وإيران وباكستان والهند وسوريا ولبنان.[1]

---

[1] للتفصيل في سيرته ينظر: طبقات أعلام الشيعة، الشيخ أغا بزرك الطهراني، ج١٤ ص٦١٢ – ٦١٩ ، أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة، السيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي ج٢ ص ٢٦٠-٢٦١ ، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، محمد حرز الدين ج٢ ص٢٧٢- ٢٧٦ ، علماء معاصرين، ملا علي واعظ خياباني ص١٥٧ ، شعراء الغري، علي الخاقاني ج٨ ص٩٩ – ١٨٣ ، موسوعة طبقات، الشيخ جعفر السبحاني ج١٤ ص٦٨٣- ٦٨٦ ، هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي ج١ ص٢٢٧-٢٥٢ ، الأعلام، خير الدين الزركلي ج٦ ص١٠٦ ، آفاق التجديد الإسلامي (أعلام وتيارات)، الدكتور إبراهيم العاتي ص٥١-١١٠ ، المجالس الحسينية، الشيخ محمد الحسين آل ياسين، تحقيق: أحمد علي مجيد الحلي ص٢٠ – ٣٠ ، أصل الشيعة وأصولها، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، تحقيق علاء آل جعفر ص٥٦-١٠٦ ، المصدر نفسه: تحقيق ومقارنة العلامة الشيخ محمد جعفر شمس الدين ص ٧-١٦

وقد أرخ وفاته السيد محمد حسن الطالقاني (رحمه الله) بقوله:

دَوَّتْ بِأَرْجَاءِ الفَضَا صَرْخَةٌ ... فَطَبَقَتْ أَمْواجُهَا الخَافِقَيْن
هَزَّتْ عَمُودَ الدِّينِ بَلْ ضَعْضَعَتْ ... أَرْكَانَهُ وَأَنْهَارَ مِنْ جَانِبَيْن
قَضَى (حسين) بِكرنسد فَذِي ... النُّعَاةِ قَدْ عَادَتْ بِخُفَّيْ حُنَيْن
يَا حَسْرَةَ الإِسْلامِ مذ أَرَّخوا ... أَبْكَى الهُدَى وَالفَضْلَ فَقْدُ الحُسَيْن[1]

وأرخها كذلك خطيب الكاظمية الشيخ كاظم آل نوح (رحمه الله) في موارد متعددة منها قوله:

ماتَ الإمامُ إمامُ العلمِ فَانْبَجَسَتْ ... مِنَّا الدُّموعُ شَيْخاً ثُمَّ سادَتُها
فَلْتَبْكِهِ الناسُ حُزْناً أَرِّخوا بِدَمٍ ... فَلْتَبْكِهِ مُسْلِمُو الدنيا وسادَتُها[2]

١٣٧٣هـ

وقال أيضاً:

مُحَمَّدُ الحُسَيْنِ أَكْرِمْ بِهِ ... أُسْتاذُ طُلَّابٍ لَدى دَرْسِها
مَفْخَرَةٌ للمُسْلِمينَ اعْتَدَى ... تاجَ عُلاً على راسِها
بالواحِدِ اسْتَعِنْ وقُلْ نادباً ... أَرَّخْتُهُ غَدا بِفِرْدَوْسِها

١٣٧٣هـ

---

[1] ديوان السيد موسى الطالقاني ص٢٦١

[2] من الشعر المخطوط للشيخ كاظم آل نوح (رحمه الله) المعد للنشر، وقد تفضل مشكوراً سبطه الأستاذ الدكتور جمال عبد الرسول الدباغ (حفظه الله) بتوثيق ذلك في صفحات مع تسجيل صوتي لإحدى مجالسه وتسليمها إلينا لتتم الإفادة منها في هذا الكتاب إحياء لتراث علمائنا الأعلام مع أبيات أخرى متعددة في الشيخ كاشف الغطاء.

المبحث الأول

مواقفه في نشر العقيدة الإسلامية

المبحث الأول: مواقفه في نشر العقيدة الإسلامية.

إنَّ من أولى مهمات العلماء هداية الناس نحو معرفة أصول العقيدة الإسلامية وما يتعلق بها ليتحصَّن المسلم بالعلم أمام الشكوك والشبهات التي يحاول أعداء الإسلام نشرها وبثها بين المسلمين، ولو اطلعنا إجمالاً على تراث الشيخ المصلح محمد الحسين آل كاشف الغطاء (قدس سره) لرأينا ذلك جلياً، حيث المؤلفات والبحوث والكلمات التي تناولت ذلك، وحاولت بث روح العلم والتعلم بين أبناء المجتمع الإسلامي، وتعريف الآخرين عقائد المسلمين الحقة التي يُبنى عليها اعتقادهم وإيمانهم، ونحاول في هذا المحور أنْ نقف على بعض كلماته وبيان أبعادها في نشر العقيدة الإسلامية والدفاع عنها من خلال عدد من مؤلفاته (قدس سره) في هذا الباب بإيجاز وسيكون بيان تلك المواقف الخالدة من خلال محاور ثلاثة:

المحور الأول: الرد على الملحدين وبيان عقيدة المسلمين.

قال (قدس سره) في رسالة (رد الملاحدة والطبيعة) وهو يبين حقيقة التوحيد وما يتعلق بمسائل الخالق والمخلوق وما يقول به المسلمون في هذه العقيدة التي اقتبسوا أصولها من القرآن والسنة ويؤكدها العقل المحض الخالي من الأوهام والشكوك واللجاج والعناد، ففي رده على هؤلاء الذي يدعون إلى إنكار الخالق ورد هذا الوجود إلى الصدفة والطبيعة وبيان وجه حقيقة هذا الوجود قال: ((جرتْ سُنَّةُ مُبدعِ الكونِ في الكائناتِ منذ الأزلِ الذي لا حَدَّ لأولهِ، وإلى الأبدِ الذي لا نهايةَ لآخرهِ أنْ لا تزال الموجوداتُ متضادةً، والحقائقُ متقابلةً، والصوادرُ متصادمةً، والأنواعُ متعارضةً، والطبايعُ متباينةً فلكُلِّ شيءٍ ضِدٌّ يخالفُهُ، ومغايرٌ

يطاردُهُ، ومباينٌ يناقضُهُ، ليلٌ ونهارٌ، ظلمةٌ وأنوارٌ، موتٌ وحياةٌ، إلحادٌ وتوحيدٌ، سعادةٌ وشقاءٌ، ما برحتْ في عالمِ الكونِ والفسادِ تتقابلُ الأضدادُ، والحربُ بينهما سجالٌ، وأقدمُ حربٍ في العالمِ محاربةُ الضلالِ للهُدى، والباطلُ للحقِّ، والإلحادُ للتوحيدِ، ما لُفكَّتْ هذه المعركةُ شعواء بين الأممِ تتضاربُ فيها العقولُ والأحلامُ مع الأضاليلِ والأوهامِ)).[1]

يبين (قدس سره) من خلال هذه الكلمات أنَّ مسألة الصراع حول إثبات العقائد بين الأمم أمر قديم وإنَّ كُلَّ أمة قد اتخذت لها معتمداً وراحت تدافع عنه وتثبته للآخرين من خلال الأهواء والأضاليل، ولكن كُلَّ ذلك لم يثنِ الدعوات التوحيدية في دعوتها وإبراز حقيقتها، وبيان صدقها وحجتها، وأخيراً ما جاء به الإسلام عن طريق نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي حطَّم تلك القيود التي توارثتها الأمم جيلاً عن جيل، وبذلك يبين الشيخ على أنَّ اللجوء إلى الدين هو السبيل الأمثل في علاج كُلِّ تلك الشبهات التي يطرحها الماديون من أجل الإلحاد بالله تعالى، ويؤكد ذلك بقوة في دعوته الإصلاحية العقائدية بقوله: ((حتى سطعت في أثباج تلك الظلمات المتراكمة أنوار الشريعة المحمدية بالنور

---

[1] رد الملاحدة والطبيعية ص٢ ، وهذه رسالة طبعت ضمن كتاب (الآيات البينات في قمع البدع والضلالات)، فهو يحوي على رسائل أربع من رسائله (قدس سره) كان قد جمعها ونشرها محمد بن الشيخ عبد الحسين آل كاشف الغطاء سنة (١٣٤٥هـ) وهذه الرسائل هي: ١- المواكب الحسينية. ٢- نقض فتاوى الوهابية. ٣- رد الملاحدة والطبيعية. ٤- خرافات البابية.

الساطع، والهدى اللامع، والدين الحنيف، والأخلاق الفاضلة، والوحدة الجامعة)).[1]

ولكن في الوقت نفسه الذي يبيّن فيه قوة وعظمة الدولة الإسلامية التي أسسها النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الجزيرة العربية وانطلاقه بها نحو العالم يبين (قدس سره) بعد ذلك كيف ضعفت الدولة الإسلامية من خلال العقائد المسمومة التي أتى بها الأمويون وتم ترسيخها في ظل حكمهم ابتداء من أبي سفيان ومقولته المشهورة: (فو الذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار وإنما هو الملك) حيث أبتدأ أنحراف الخط العقائدي للمسلمين حتى وصل الأمر إلى العصر الحديث وحملات التبشير والصليبية وتأثيراتها على المسلمين. فيشير الشيخ (قدس سره) إلى ذلك بألمٍ وتعب وهو يرى ما دخل في بلاد المسلمين وأثر ذلك الانفتاح على الغرب وما يعتقدون به فيقول: ((وأنضمَّ إلى تلكَ الأصولِ التي غرسَها بنو أمية في عرصةِ الإسلامِ المقدسةِ من غراسِ الكفرِ والإلحادِ ما أنهارَ من السيلِ الغربيِّ من مخاريق (داروين) و (بختر) وأتباعِهم ثم نقلها إلى العربيةِ ملاحدةُ النصارى (كشبلي شميل) وأتباعُهم فأصبحَ الكفرُ والإلحادُ هو الأصلُ المكينُ في الاعتقادِ، لا تخلو عنه بلدٌ من بلادِ الإسلامِ، بل لا يسلمُ منه بيتٌ ولا عائلةٌ في كافةِ العواصمِ الإسلاميةِ فضلاً عن غيرها، وكنتُ في ملء أنطوي من صحايفِ عمري، وسوالفِ أيامي، جمعتُ رسالةً منصبَّةَ السيلِ، ساحبةَ الذيلِ على مزاعمِ الطبيعيينَ وتعاليقِهم، وتفنيد مخاريقهم، بالبراهينِ الساطعةِ، والحججِ القاطعةِ، ولم تسمحِ الصروفُ والظروفُ لنشرِها، ولكن إجابةً لرغبةِ مَنْ تعزُّ علينا

---

[1] المصدر السابق ص٤

رغايبه، أختزلنا منها قطعةً وجيزةً، أجزنا نشرها مع لـداتها، وفي عـدادِ أخوانِهـا، عسى أنْ ينتفعَ بها طالبُ حقٍّ، أو باحثٌ عن جِدٍّ وحقيقةٍ، على أنَّ الطالبينَ قليـلٌ، والواصلينَ نزرٌ و أقلُّ، ولا أقُلْ من أننا قد قُمنا ببعضِ الواجبِ، وأتينا بأدنى الوظيفةِ للغايةِ الشريفةِ، والله وليُّ التوفيقِ وبه المستعانُ)). [1]

فهذه الكلمات تؤكد دوره (قدس سره) في الدفاع عن عقيدة المسلمين عامة والتي يجمعهم توحيد الله تعالى والاعتراف بربوبيته، لذا وضع أُسس هذه الرسالة عـلى حوار بين ملحد وموحد يقوم على التناظر في المسائل التوحيديـة بأسـلوب أدبي وعلمي، ثم يقول في ختامها: ((وهذا المقدارُ الذي أشرنا إليه أولاً أقتطعنـاهُ مـن رسالتِنا الكبيرةِ في رَدِّ الطبيعيينَ والملحـدينَ الموسـومة: (بمحـاورة الموحـد

---

[1] المصدر السابق ص٦ ، والشواهد التأريخية على ذلك واضحة لا تحتاج إلى بيـان، فذاك أبو سفيان وأبنه معاوية وحفيده يزيد وما بعده من الأمويين الذين تسلطوا عـلى رقاب المسلمين فكانوا أداة لضرب الإسلام ومبادئه الإلهية العظيمة، فأبو سفيان يقف على قبر الحمزة عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيركله برجله ويقول: إيـهٍ أبـا عمارة إنَّ الذي كُنّا نقاتل عليه بالأمس قد صار اليوم في أيدي صبياننا يتلاعبـون بـه تلاعب الصبيان بالكرة. وذاك معاوية الذي فعل ما فعل من قتل الأزكياء والأولياء من أجل الحكم. من ثم يزيد حكم ثلاث سنوات فقتل فيها سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي (عليه السلام) وضرب الكعبة بالمنجنيق واستباح المدينة المنورة. وغيرها من الأفعال التي أخرجت الخط الرسالي عن مساره الإلهي، وإنْ كان ذلك الخـسط قـد انحـرف ابتداء منذ وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في يوم السقيفة ولكنه قـد وصل أوجه في أيام الأمويين، لذا فالشيخ (قدس سره) يشير إلى هذه المرحلة دون ما قبلها لكثرة ما دخل في الإسلام من انحرافات بسبب الأمويين.

والملحد) وفيها تعرضٌ لبعضِ مبادئ عقـربانِ الإلحادِ الأكبرِ، وسرطانِ الكفـرِ الأعظـمِ، الدكتور (شبلي شميل) في مقدمةِ مجموعتـهِ الموسـومة بـ(فلسفة النشوء والارتقاء) التي بَثَّ فيها بين أبناءِ العربِ تعاليمَ الزندقةِ الحديثةِ، والإلحـادِ الطريِّ، والكفرِ الطريفِ، والنزغِ الجديدِ، الذي هو الدينُ الشايعُ اليومَ في كُلِّ ناشئةِ هذا العصرِ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله)).[1]

إنَّ هذه الكلمات العظيمة تبين عظمة ومكانة هذا المصلح الكبير الذي نذر نفسه للدفاع عن المسلمين وعقائدهم، وفي هذه الكلمات دعوة صـادقة صريحـة للحذر من الثقافات الغربية المستوردة لما لها من الأثر على المسلمين وعقائـدهم وبلادهم، ولكن الأمة غافلة عن هذه الدعوات، بعيدة عن هـذه الكلـمات، حتـى وصل الحال بنا اليوم فأصبحت عقائد المسلمين تستنكر مـن بعـض المـسلمين أنفسهم الذين لم يفهموا حقيقة الإسلام، فنحن بحاجة إلى مثـل هـذه الـدعوات والصرخات من العلماء المصلحين لإنقاذ الجيل مـن الـضياع والانـزلاق وراء العولمة والثقافة الغربية وغيرها..

وكذلك فإنَّ للشيخ (قدس سره) جولة أخرى في هذا المجال في بـيروت يحدثنا عنها فيقول: ((وفي الليلةِ التي كُنَّا مصممينَ على الرحيلِ في صبيحتِها مـن بيروتَ إلى حلب ثم منها إلى العراق...)).[2] إذ يمكن مراجعتها ببضع صـفحات

---

[1] المصدر السابق ص٢٢ ، وللاطلاع على المزيد تراجع أصل الرسالة والحوارية بـين الإيمان والكفر وكيفية تجلي المبادئ فيها، ففيها من الأفكار العظيمة التي تحتاج إلى تأمل وتفكر من قبل الباحثين والأساتذة والمصلحين، وخصوصاً مَنْ يبحث في فلسفة الوجود والخلق والطبيعة.

[2] المصدر السابق ص٢٢

يرد فيها أيضاً على هؤلاء من خلال قصيدة وجهت إليه عنوانها: (المبدأ والمعاد في الدين والإلحاد) وتقع في ستين بيتاً شعرياً، وقد طُلب منه الرد عليها بعد رجوعه إلى بلاده، والراحة من سفره، ولكنَّ الهمة الفريدة التي يحملها، وإخلاصه في التفاني للدفاع عن عقيدته منعاه الرقاد تلك الليلة المضطربة وهو يريد السفر في صباحها دون الرد على هؤلاء ومعتقداتهم الفاسدة، فيقول: ((أخذني الأرقُ والقلقُ فقمتُ إلى الأنيسين المزابرِ والمحابرِ، فما أنقضى هزيعٌ من الليلِ، وأتّصلَ السهرُ بالسحرِ، إلا ومعي من الجوابِ قصيدةٌ تناهزُ المائة وخمسين بيتاً عنوانها: (إثبات المبدأ والمعاد ورد لحود الإلحاد) أولها:

أيُّ قلبٍ من الأسى لا يذوبُ - حقُّ يا نفسُ أنْ يطولَ النحيبُ)).[1]

وللشيخ (قدس سره) في هذا المضمار أيضاً رسالة: (أنواع الإلحاد وضروب الزندقة) يردُّ فيها عليهم، وكذا على البابية والبهائية يمكن مراجعتها.

إننا لسنا في هذا البحث بصدد استقراء مؤلفات الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (قدس سره) التي تظهر آثاره في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ولكن أحببنا بيان أمثلة من ذلك؛ لتتبين لنا صورة مصغرة من دوره الكبير في ذلك، وعظمة تلك المواقف الخالدة تكمن في الرسالة التي بعثها إلى نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط في الولايات المتحدة الأمريكية حينما دعاه لحضور مؤتمر لرجال الدين المسلمين والمسيحيين يعقد في لبنان لبحث القيم الروحية في الديانتين والأهداف المشتركة وموقف الديانتين من الشيوعية، ولكنه (قدس سره) رفض حضور هذا المؤتمر وأرسل لهم برسالة يبين فيها القيم الحقيقية للإسلام

---

[1] المصدر السابق ص٢٧

ومكانته وقدسية، فكانت بعنوان: (المُثل العليا في الإسلام لا في بحمدون)، ونحن نقتطف فقرات منها لنرى ذلك الأثر العظيم لعلمائنا في الدفاع عن الإسلام والمسلمين ومعتقداتهم، إذ يقول: ((فالعدلُ في الإسلامِ قائمٌ على سواءٍ بين المسلمِ والكافرِ، والعدوِّ والصديقِ، والقريبِ والبعيدِ، وبأيِّ لونٍ كانَ، ومن أيِّ عنصرٍ يكونُ، ومن مِثْلِ الإسلامِ وأهدافِهِ السامية، إنه يقول: "أَدْرَءِ السيئةَ بالحسنةِ" ويقول الحديث الشريف: "أَحْسِنْ إلى مَنْ أساءَ إليكَ، وأَعْطِ مَنْ حرمَكَ، وأَعْفُ عَمَّنْ ظلمكَ، وصِلْ مَنْ قطعَكَ تكُنْ مؤمناً حقاً" يقابلُ الإساءةَ بالإحسانِ، وأنتم تقابلونَ الإحسانَ بالإساءةِ، والعدلَ بالظلمِ، وكُلُّ فضيلةٍ بضدِّها، فهل عندكم يا دولَ الديمقراطيةِ مثلَ هذه المثلِ العليا والقيمِ الروحيةِ ؟! وهل تجدُها في غيرِ الإسلامِ ؟! وهل توافقُني إذا ختمتُ رسالتي بما أفتتحتُها به: "المُثُلُ العُليا في الإسلامِ لا في بحمدون")).[1]

---

[1] المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون ص٥٨ ، وهذه الرسالة من عيون الرسائل الإصلاحية لعلمائنا، وينبغي علينا جميعاً قراءتها والتأمل فيها لما تحويه من الآراء والأفكار العظيمة، بل يجب على المعاهد الفكرية والسياسية والتربوية أنْ تجعلها مادة من مواد الدراسة والبحث فيها.

المحور الثاني: الرد على الوهابية.

وفي مسألة زيارة قبور الأئمة المعصومين (عليهم السلام) يبين الشيخ (قدس سره) ويناقش آراء وأفكار الوهابية التي تَدَّعي حرمة ذلك وأنها من أعمال الشرك بأسلوب علمي رصين، حيث أنهم يذهبون إلى أنَّ زيارة مراقد الأئمة (عليهم السلام) وغيرها من قبور الأنبياء والأوصياء والأولياء هي نوع من أنواع البدع وهي تدخل في الشرك بالله تعالى، وهب بذلك يخالفون ما جرت عليه سيرة المسلمين من زيارة تلك المشاهد، ففي جميع بلاد المسلمين ترى تعظيم تلك القبور وزيارتها والتقرب بها إلى الله تعالى من شرق البلاد الإسلامية إلى غربها، ولكن المصيبة دخلت على المسلمين عندما قامت هذه الفئة بنشر ما تعتقده بالقوة والقهر بين أبناء الجزيرة عندما استطاعت أنْ تسيطر على تلك المناطق بمعونة أعداء المسلمين، فراحوا يكفرون المسلمين بحججٍ واهية ما أنزل الله بها من سلطان، ومنها زيارة القبور، وإلا فأين علماء المسلمين من قبل والمعاهد العلمية في الأزهر بمصر وغيرها من المراكز العلمية، فإنه وإنْ كان قد تصدى لهذا الموضوع عدد من العلماء ولكن كان للشيخ (قدس سره) أثر بارز في ذلك من خلال رسالته (نقض فتاوى الوهابية) [1] والتي بيَّن فيها مزاعمهم وكيفية الرد عليها بدليل قاطع من القرآن والسنة الشريفة.

---

[1] طبعت هذه الرسالة سنة (١٣٤٥هـ) ضمن كتاب (الآيات البينات في قمع البدع والضلالات) الذي يحوي رسائل أربع. وقد تم طباعتها مستقلة ومحققة بتحقيق السيد غياث طعمة في مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث عام ١٤١٦هـ. وطبع ملحق خاص بها للسيد عبد الله محمد علي في المؤلفات التي كتبت في الرد على الوهابية حيث ذكر (٢١٣) مؤلفاً في ذلك.

يقول الشيخ (قدس سره): ((وقفنا من جريدةِ العراقِ في العددِ الموافقِ منها ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٤٤ على سؤالٍ قاضي قضاةِ الوهابيينَ ألبنِ بليهد مستفتياً علماءَ المدينةِ عن البناءِ على القبورِ، وأتخاذِها مساجدَ، وإيقادِ السرجِ عليها، وما يفعلُ عند الضرايحِ من التمسُّحِ، وقد رغبَ إلينا الكثيرُ من الإعلامِ والأفاضلِ في إبداءِ ملاحظتِنا على تلكَ الفتوى، ووضعِها في معيارِ الاختبارِ، وميزانِ الصحةِ والسقمِ، وعرضِها على محكِّ النقدِ، ومطرقةِ القبولِ أو الردِّ، إيضاحاً للحقيقةِ، وطلباً للصوابِ، كي لاتعرضُ الأوهامُ والشكوكُ، وتعلقُ الشبهةُ بأذهانِ البسطاءِ من المسلمينَ، فإنَّ البليةَ عامةٌ، والمصيبةَ شاملةٌ، والرزيةَ على الجميعِ عظيمةٌ، وعليهِ فنذكرُ نصَّ الفتوى جملةً جملةً حسبما ذُكِرَ في تلكَ الجريدةِ، ثم نعقِّبُ كُلَّ جملةٍ منها بما يحقُّ لها من البيانِ، واللهُ المستعانُ)).[1]

من خلال هذه الكلمات تظهر لنا الروح العالية في الدفاع عن مبادئ الشريعة، وبيان الانحراف لدى مَنْ يَدَّعي العلم، فيبدأ الشيخ ببيان بطلان تلك الفتوى ومستندها وأدلتها ببيان علمي وافٍ مستشهداً بالآيات والروايات والسيرة العلمية للمسلمين، حيث تشييد قبور أئمة المذاهب الإسلامية في البلدان الإسلامية، إضافة للمؤلفات التي أُلفت في زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

---

[1] نقض فتاوى الوهابية ص٢ ، إنَّ الحديث الذي أعتمده هؤلاء المُفتون الضالون في وجوب هدم القبور هو ما رواه مسلم في كتابه في الحديث المزعوم عن علي (عليه السلام) لأبي الهياج قوله: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألا أدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سَوَّيته. فإنَّ الشيخ يذكر إنَّ معنى سويته أي عدلته وسطحته لا ساويته وهدمته، كما قال أهل اللسان وبهذا لا يكون معارضاً مع الأحاديث الأخرى التي وردت في الزيارة وثوابها.

والشهداء والمؤمنين، وبعد أنْ يبطل تلك الفتوى بذلك البيان يؤكد على أمر مهم يريد إيصاله لهؤلاء الأذناب الذين فَرَّقوا بين المسلمين بتكفير هذا وذاك من خلال أدعياء العلم، يقول: ((وبعد هذا كُلِّهِ فهلْ من قائِلٍ عني لذلكَ المفتي، مفتي علماءِ المدينةِ الذي أفتى بجوازِ هدمِ القبورِ أو وجوبِهِ أستناداً إلى ذلك الحديثِ يا هذا من أينَ جئت بتلكَ النظريةِ الحمقاءِ، والحجةِ العوجاءِ، والبرهنةِ المعكوسةِ، المزعومةِ المقلوبةِ، التي ما وهمَها واهمٌ، ولا خطرتْ على ذهنِ جاهلٍ فكيفَ بالعالِمِ، اللهُمَّ إلا أنْ يكونَ (أبن تيمية) أو بعضُ ذناباتِهِ فإنَّ الرجلَ ترويجاً لأباطيلِهِ، وتمشيةً لأضاليلِهِ، حيث تعوزهُ الحجةَ، والسندُ قمينٌ بتحويرِ الحقائقِ، وقلبِ الأدلةِ، والتلاعُبِ بالحججِ والبراهينَ تلاعبُهُ بالدينِ، لا يا هذا، إنَّ الشمسَ لا تُسْتَرُ بالأكمامِ، وإنَّ الحقَّ لا يُسْحَقُ بزخارفِ الكلامِ، وسفائفِ الأوهامِ، إنَّ الحديث: (لا تدعْ قبراً إلا سويته) دليلٌ عليكَ لا لكَ، وحجةٌ قاطعةٌ لأضاليلِكَ، وقالعةٌ لجذورِ أباطيلِكَ، فإنَّ معناه الذي لا يشكُّ فيه إنسانٌ من أهلِ اللسانِ سَوَّيته أي: عَدَّلْتُهُ وسَطَّحْتُهُ، لا ساويتُهُ وهَدَّمْتُهُ)).[1]

ثم يختم قوله (قدس سره) محذراً هذه الفرقة من التلاعب بعقائد المسلمين والتفرقة بينهم، وبيان أنَّ كُلَّ ذلك إنما يصب في خدمة أعداء الإسلام، وفي ذلك دلالة صريحة منه على محاولة إصلاحهم ودعوته للتفكير بعلم دون اللجوء إلى أسباب أخرى لا أساس لها في الشريعة كالتكفير ورمي الفرق الإسلامية الأخرى بالباطل، فيقول لهم ويحذرهم ولا يخشى أيَّ لائمة في بيان الحق: ((وليعلمَ الوهابيونَ علماً جازماً حاسماً لكُلِّ وهمٍ وشبهة إنَّ اليدَ التي

---

[1] المصدر السابق ص١٥-١٦

أصبحتْ تضربُ بهم المسلمينَ اليومَ سوف تضربُهُمْ بغيرِهما غداً، فلينتبهوا ولينتهوا قبلَ أنْ يقعوا في حفايرِ السياسةِ السحيقةِ، ومهاويها العميقةِ، وإلى الله سبحانه نضرعُ راغبينَ إليه وحده، في أنْ يجمعَ الكلمةَ، ويؤلِّفَ شملَ الأمةِ، ويوقظَهُمْ من سِنَةِ الغفلةِ،التي أوشكَتْ أنْ تكونَ حتفاً قاضياً عليهم أجمع)). [1]

من خلال هذه الكلمات يرى المطلع على تلك المواقف الخالدة التي كان يقوم بها الشيخ (قدس سره) في الدفاع عن الشريعة الإسلامية المقدسة وعقائدها، ونحن نكتفي بهذه السطور في حديثه مع الوهابية لننتقل إلى موقف آخر من مواقفه.

---

[1] المصدر السابق ص٣١-٣٢

المحور الثالث: بيان عقائد الشيعة الإمامية.

إنَّ من مواقفه الخالدة في الدفاع عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بيان حقيقة مذهب الإمامية للآخرين ليكونوا على بينة من هذا المذهب الذي يستقي عقائده وأصوله من عِدْلِ القرآن الكريم –الأئمة عليهم السلام– الذين أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتمسك بهم في حديثه المتواتر بين المسلمين (حديث الثقلين)، فقد بين الشيخ (قدس سره) ذلك بأسهل أسلوب قائم على الدليل والبيان، من خلال تلبيته للدعوة في الكتابة عن معتقدات الشيعة حيث أنَّ هناك مَنْ يجهلها أو يتجاهلها، فصارت بعض الأقلام تكتب عنهم الأباطيل والمفتريات ليبعدوا المسلمين عن صراط الحق الذي يجب عليهم أنْ يتمسكوا به، فضلاً عن زرع الفرقة والشقاق بين الأمة الإسلامية، فتصدى (قدس سره) لذلك وبين تلك العقائد الحقة في كتابه المشهور: (أصل الشيعة وأصولها) حتى عُدَّ بعدها مصدراً من المصادر المهمة في دراسة فرقة تمثل نصف المسلمين في العالم تقريباً، علماً أنه لم يؤلف كتابه هذا إلا من أجل الإصلاح في المجتمع الإسلامي وإبعاد أولئك الجاهلين والحاقدين من التلاعب في عقول المسلمين، فلتسمع إليه وهو يبين أسباب تأليفه لهذا الكتاب الذي تظهر حقيقة جهده وجهاده في سبيل المسلمين والدعوة إلى الإيمان والوحدة بينهم، إذ يقول: ((إنه منذُ سنتين كتبَ إليَّ شابٌّ عراقيٌّ من البعثةِ العلميةِ التي أرسلتها الحكومةُ العراقيةُ للتحصيلِ في دارِ العلومِ العليا بمصرَ كتاباً مطولاً ومما يذكرُ فيه ما خلاصته: إنه كانَ يختلفُ إلى كبارِ علماءِ القاهرةِ في الأزهرِ وغيرِه، وربما جرى الحديثُ بينهم على ذكرِ النجفِ وعلمائِها، وطريقةِ التحصيلِ فيها، وكانوا يكيلونَ لهم الكيلَ الوافيَ من الثناءِ والإعجابِ بسموِّ القدرِ، وعلوِّ معارفهم، ولكن يردفونَ ذلك بقولهم: ولكن

للأسف إنهم شيعةٌ ! يقول ذلكَ الشابُّ فكنتُ أستغربُ ذلكَ وأقولُ لهم: وما الشيعةُ ؟ وهل هي إلا مذهبٌ من مذاهبِ الإسلامِ، وطائفةٌ من طوائفِ المسلمين ؟ فيقولُ قائلُهم في الجواب ما حاصله: كلا ليستِ الشيعةُ من المسلمينَ، ولا التشيُّعُ من مذاهبِ الإسلامِ، بل ولا يحقُّ أنْ يكونَ أو يُعَدَّ مذهباً أو ديناً، وإنما هي طريقةٌ ٱبتدعها الفرسُ، وقضيةٌ سياسيةٌ لقلبِ الدولةِ الأمويةِ إلى العباسيةِ، ولا مساسَ لها بالأديانِ الإلهيةِ أصلاً [1]... ثم أخذَ يتوسَّلُ وإذا لم تنقذني من تلك المتاهةِ فالمسؤوليةُ عليكَ إنْ زللتُ أو ضللتُ، فكتبتُ إليه ما ٱتسعَ له ظرفُ المراسلةِ، وٱحتملهُ كاهلُ البريدِ، وطفقتْ تتعارضُ على خواطري أسرابُ الشكوكِ من صحةِ تلك الواقعةِ، وأنه كيفَ يمكنُ أنْ يبلغَ الجهلُ والعنادُ بعلماءِ بلادٍ هي في طليعةِ المدنِ العلميةِ الإسلاميةِ، ومطمحِ أنظارِ العربِ، بل كافةِ المسلمينَ في تمحيصِ

---

[1] نحن لا نعلم هل إنَّ هؤلاء الذين يتكلمون بهذه الأراجيف هم من الجاهلين أم المتجاهلين !! أم من الذين تطوَّعوا لخدمة أعداء الدين في الدفاع عن الأمويين بكُلِّ ما أوتوا من مكرٍ وخديعة !! وإنْ كان ذلك يؤدي إلى تشويه الحقائق التأريخية وتفرقة المسلمين، ولا ندري هل إنَّ في الدعوة إلى التمسك بأئمة أهل البيت (عليهم السلام) عيب فاضح وتفرقة للمسلمين !! وإنَّ الدعوة إلى الأمويين أمثال أبي سفيان ومعاوية ويزيد ومروان وٱبن العاص وأمثالهم هي الدعوة المشرفة والموحدة للمسلمين !! فهذه هو من أعظم مشاكل المسلمين أنهم قد ابتلوا بمَن يدَّعون الإسلام والحضارة الإسلامية. يقول المستشرق كيب: (إنَّ الفكرة الخاطئة والتي ما زالت منتشرة التي تقول بأنَّ بلاد فارس كانت الموطن الأصيل للتشيع لا أصل لها، بل الروايات التأريخية تثبت بأنَّ الزرداشتيين كانوا أُمَيَّل عموماً لاعتناق المذهب السني). هوية التشيع للشيخ الوائلي ص١٠٩

الحقائقِ، وما كدتُ أركنُ إلى صدقِ ما نقلهُ ذلك الشابُّ حتى وقعَ في يدي في تلكَ الآونةِ كتابُ الكاتبِ الشهيرِ "أحمد أمين" الذي أسماه "فجر الإسلام" فسبرتهُ حتى بلغتُ منه إلى ذكرِ الشيعةِ، فوجدتهُ يكتبُ عنهم كخابطِ عشواء، أو حاطبِ ليلٍ)).[1]

فأيُّ غيور على العقيدة لا يتحرك تجاه ذلك، ويبين حقيقة الأمر كما يجب، ليتعرف بعدها المسلمون على حقيقة الشيعة من كلمات علمائهم ومحققيهم لا من أصحاب الأهواء، فيتصدى (قدس سره) لذلك في كتابه الشهير وبيَّن أساس الشيعة وما يتعلق بها كمعتقد أنبثقت أصوله من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وأنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر بالتمسك بأهل البيت (عليهم السلام) فنحن أمتثالاً لكتاب الله تعالى وسنة نبيه نتبع الأئمة (عليهم السلام) دون سواهم، ثم ذكر أنَّ أعلام المسلمين الذين أسسوا العلوم المختلفة التي يفتخر بها المسلمون هم من الشيعة إضافة لبيانه ما تؤمن به الشيعة لئلا تبقى حجة لمعاند أو مكابر، يقول (قدس سره): ((نعم من كُلِّ ذلك رأيتُ من الظلمِ الفاحشِ السكوتَ والتغاضي عن هذهِ الكارثةِ، لا أعني أنه من الظلمِ على الشيعةِ، ولا أريدُ أنْ أدفعُ الظلمَ عنهم، والمفترياتِ عليهم، كلا ولكنْ أعظمُ الغرضِ، وأشرفُ الغايةِ، رفعُ أغشيةِ الجهلِ عن المسلمينَ من عامةِ فرقِ المسلمينَ، كي يعتدلَ المُنصفُ، وتتمَّ الحجةُ على المعاندِ، وترتفعَ اللائمةُ، ووصمةُ التقصيرِ عن علماءِ هذهِ الطائفةِ)).[2]

---

[1] أصل الشيعة وأصولها ص١٢-١٤

[2] المصدر نفسه ص١٨

وهذه كلمات لا تحتاج إلى بيان وعرض لأثر هذا العالم المصلح في الدفاع عن الشريعة المقدسة والحفاظ عليها من أولئك الذين يريدون بالإسلام الكيد والضعف والتفرقة.

وفي المجال نفسه حول إظهار ما تؤمن به الشيعة الإمامية من عقائد وأنها تستند في كُلِّ ذلك إلى المصدر الأساس للشريعة المقدسة (القرآن والسنة)، وليست معتقداتهم وليدة عاطفة معينة، بل وليدة الشريعة التي قامت على الدليل والبرهان، يحاول الشيخ (قدس سره) أنْ يؤكد ذلك من خلال جميع مؤلفاته ولكن نرى ذلك جلياً إضافة لما سبق في كتابه: (الدعوة الإسلامية إلى مذهب الإمامية) إذ يبين ما تقوم عليه العقيدة الإسلامية من خلال مذهب أهل البيت (عليهم السلام) لا يبتغي من وراء ذلك تفرقة طوائف المسلمين، بل تعريف المسلمين بما يؤمنون به بعيداً عن التهمة والرمي بالباطل، ولذا يقول بعد أنْ يبين طريقة القدماء الذين كتبوا في العقائد: ((من ذلك كُلِّهِ أحببتُ طلباً لمرضاتِ الله جَلَّ شأنهُ العظيم، وتقرباً لوجههِ الكريمِ، وشكراً لما أنعمَ به عليَّ من حادثٍ وقديمٍ، أنْ أخدمَ مِلَّتي وأبناءَ جلدتي، بل كُلَّ طالبٍ للحقِّ والحقيقةِ، والمذهبِ الصحيحِ، والملةِ الوثيقةِ، سادراً إلى صوبِ الصوابِ والسدادِ، نافراً عن مجهلةِ العصبيةِ والعنادِ، فها أنا بحمدِ اللهِ وجميلِ ألطافهِ، قد قدمتُ بل خدمتُ جميعَ المللِ والنحلِ، والشعوبِ والأممِ من فرقِ الإسلامِ وغيرِهم، بتحريرِ هذه الوجيزةِ في الأصولِ الإسلاميةِ، الصادعةِ

بصحةِ ما عليه الفرقةُ الإماميةُ، فجاءتْ جامعةً لتلكَ الأصولِ في أحسنِ فصولٍ، مشتملةً على براهينِها البينةِ، وأدلتِها المتقنةِ)). [١]

من خلال هذه الكلمات وغيرها نرى حرص الشيخ (قدس سره) على بيان العقيدة بإسلوب رصين متقن، كي لا يدَّعي مَنْ يدعي أنَّ عقائد المسلمين لا أصل أو مستند لها، وإنما هي مجرد اعتقادات غير قائمة على دليل أو برهانٍ علمي. فقد قسم هذا السِّفر القيم على ثلاثة فصول ومقدمة كما أشار إلى ذلك، تناول في المقدمة ما يتعلق بوجوب النظر ولزوم المعرفة على الإنسان العاقل بغض النظر عن ما يؤمن به من ديانة. [٢]

وبعد أنْ يبين في المقدمة ما يتعلق بالعقل وشرف وجوده ولزوم التأمل والنظر في المخلوقات للوصول إلى أسرار الخالق في خليقته وما يتعلق ذلك بإثبات الخالق ووحدانيته، ينتقل إلى الفصل الأول إلى إثبات الصانع وأنَّ لهذا العالم صانعاً عليماً حكيماً. [٣]

---

[١] الدعوة الإسلامية إلى مذهب الإمامية ص٥ ، وللشيخ (قدس سره) كتابات متعددة في مجال بيان عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) وما يؤمن به أتباعهم ولسنا في هذه الصفحات بصدد أستقراء ذلك، ولكن يمكن مراجعة ما مر من المؤلفات إضافة لكتابه "المراجعات الريحانية" وهي مجموعة المراسلات التي جرت بينه وبين الكاتب الشهير (أمين الريحاني) من لبنان فإنَّ فيه من المباحث العقائدية والتأريخية القيمة وقد طبع في جزئين سنة ١٣٣١هـ.

[٢] المصدر نفسه ص١١

[٣] المصدر نفسه ص٢٨

وأما في الفصل الثاني فيبين ما يتعلق بتوحيد الخالق ونفي الشرك وما يتعلق بـذلك من الصفات الإلهية والروايات التي يستند إليها أهل البيت (عليهم السلام).[١]

وفي الفصل الثالث يبين ما يتعلق بالعدل الإلهي وما يترتب عليه من وجوب بعثـة الأنبياء وعصمتهم ورد الإشكالات التي ترد على مسألة العدل الإلهي.[٢]

بهذا الأسلوب العلمي والدليل العقل والفلسفي يبـين (قـدس سره) مـا يتعلق بهذه العقائد وكيفية رد شكوك الذين يحاولون التشكيك بعقائـد المـسلمين عامة، وما يتعلق بعقائد الشيعة الإمامية خاصة.

وكذلك من مواقفه في بيان الأحكام الفقهية التي تذهب إليه كُلُّ فرقة من فرق المسلمين الرئيسة فقد ألَّف كتابه "تحرير المجلة" أي تحرير "المجلة العدلية" التي آحتوت فقه المذاهب الأربعة والتي كانت تدرس أيام العثمانيين [٣] فقد عمـد الشيخ (قدس سره) إلى إضافة فقه الشيعة الإمامية لها؛ لتكون الفائدة أعم ويتعرف

---

[١] المصدر السابق ص٣٣

[٢] المصدر السابق ص٨٦

[٣] هذه جزء من السياسات العدائية التي كانت تمارسها الدولة العثمانية ضـد الـشيعة، وإبعادهم عن ممارسة عقائدهم وعدم تعريف المسلمين بفقههم حتى وصل الأمر بهم بإصدار أوامرهم بعدم إنشاء مدارس دينية في المدن الشيعية ومنها المدن المقدسـة، حيث تُظهر الوثائق العثمانية نفسها تلك الحقائق على الرغم من المواقـف العظيمـة والمشرفة لعلمائنا الأعلام تجاههم. للتفصيل ينظر: الأوضاع السياسية والاجتماعيـة للكاظمية في العهد العثماني الأخير (١٨٣١-١٩١٧) دراسة تأريخيـة، قاسـم عبـد الهادي الزيرجاوي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد التـأريخ العـربي والـتراث العلمي.

كُلٌّ على فقه المدرسة الأخرى، لذا يقول في مقدمة الكتاب: ((ولما كانت "مجلة العدلية" أو مجلة الأحكام هي الكتابُ المقررُ تدريسُهُ في معاهدِ الحقوقِ من زمنِ الأتراكِ إلى اليومِ .. فقد أمليتُ هذه الخواطرَ وجعلتُها كتحريرٍ لذلكَ الكتابِ، والغرضُ المهمُّ من ذلك أمران: الأول: الشرحُ والتعليقُ عليهِ، وحَلُّ بعضِ معقداتهِ ومشكلاتهِ. والثاني: بيانُ ما ينطبقُ منها على مذهبِ الإماميةِ وما يفترقُ، وعسى في طيِّ ذلكَ تستبينَ الموزن بين فقهِ سائرِ المذاهبِ الإسلاميةِ، وفقهِ المذهبِ الجعفريِّ، وما فيه من غزارةِ المادةِ، وسعةِ الينبوعِ، وكثرةِ الفروعِ، وقوةِ المداركِ، ورصانةِ المباني، وسموِّ المعاني، ومطابقةِ العقلِ والعرفِ في الأكثرِ)). [1]

فلا يخفى الأثر الكبير لهذا الكتاب في الفقه المقارن للمذاهب الإسلامية وما في ذلك من إسداء خدمة للمسلمين في سد الفرقة والخلافات بينهم وتعرُّف كُلٍّ منهم على الآخر من مصادره العلمية الموثوقة وخصوصاً ما يتعلق بأتباع أهل البيت (عليهم السلام) حيث الدور العدائي الذي يمارسه الحُكام بمعونة بعض الأدعياء للعلم.

وأما في ما يتعلق بالشعائر الحسينية التي تمارسها الشيعة في أيام محرم الحرام فإنَّ الشيخ (قدس سره) كان يهتم بهذه المناسبة اهتماماً كبيراً، وقد ألف كتابه (المجالس الحسينية) فيا يتعلق بمقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وقد ورد أنه كان يرتقي المنبر يوم العاشر من محرم، ويقرأ ما كتبه بنفسه، ويغصُّ مجلسه بالناس من عامَّتهم وخاصَّتهم. [2]

---

[1] ج١ ص٣-٤

[2] المجالس الحسينية، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص٤٦

للشيخ موقفاً كبيراً وكريماً تجاهها، كونه أحد الفقهاء الذين يلجأ الناس إليهم في معرفة أحكام الشريعة المقدسة، ففيما يتعلق بتلك الشعائر ومعرفة ما يتعلق بمفردات الأعمال التي تمارس في تلك الأيام وما تنطوي تحت عنوان: "الشعائر الحسينية" كان الشيخ له فيها موقف واضح وصريح، يؤكد فيه على رغبته الإصلاحية الكبيرة في تهذيب الشعائر من العادات التي لا علاقة لها بها، واقفاً بذلك موقف المدافع عن الشريعة المقدسة وما يتعلق بما يقوم به أتباع أهل البيت (عليهم السلام) حزناً على مصيبة سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، فيقول جواباً على ما ورد إليه من بث الشبهات والشكوك حول مواكب العزاء في البلاد الإسلامية، ومنها ما ورد إليه -آنذاك- من مدينة البصرة في العراق حيث تتابعت البرقيات عليه حول رأيه في ذلك من حيث خروج المواكب الحسينية في الشوارع والضرب على الصدور والرؤوس والتشبيه لواقعة الطف وغير ذلك، فنراه بعد أنْ رأى أنَّ الأمر قد يصل إلى أنْ يكون فتنة في المجتمع الموالي لأهل البيت (عليهم السلام) فيكون بذلك ذريعة لأعدائهم في إصدار التُّهم ضدهم، أخذ يجيب عن هذا الأمر بأجوبة لا لبس فيها ولا غموض، إفهاماً للناس العامة، وحفاظاً على وحدتهم، وتمسكهم بإحيائهم لهذه الشعائر المقدسة النبيلة، فيقول في فتواه المشهورة: ((قال سبحانه وتعالى "ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى" ولا ريبَ إنَّ تلكَ المواكبَ المحزنةَ، وتمثيلها تلكَ الفاجعةِ المشجيةِ من أعظمِ شعائرِ الفرقةِ الجعفريةِ، شَيَّدَ اللهُ أركانَها، ونحنُ إذا لم نقلْ باستحبابِها ورجحانِها لتوفرِ الأدلةِ من الأخبارِ والأحاديثِ المتظافرةِ المُشعرةِ بمحبوبيةِ تلك المظاهراتِ لأهلِ البيتِ (عليهم السلام) فلا أقلَّ من القولِ بالجوازِ والإباحةِ، وما يتداولُ ويعملُ فيها من ضربِ

الطبولِ ونحوِه غير معلومٍ أندراجُه فيما علم حرمتُـهُ مـن آلاتِ اللهـوِ والطـربِ ..إلخ)).[1]

ويقول (قدس سره) في جواب آخر له على استفتاء آخر ورد أيـضاً مـن البصرة حيث ما حصل من الاختلاف من الآراء والأقوال حول بعـض مفـردات الشعائر التي تُمارس وأقوال الفقهاء فيهـا: ((وردتنـا بـرقيتُكم فأزعجتنـا غايـةَ الإزعاجِ، وما كُنَّا نظنُ أنَّ الأمرَ يبلغُ إلى هذهِ المنزلةِ .. وكُنَّا قد كتبنـا في جـواب السيدِ الأعزِّ، السيدِ فاخرِ البعاج حفظه الله، ما كُنَّا نأمـلُ أنْ يعـودَ حاسـماً لتلـكَ المشاجرةِ التي هي من أضرِّ الحوادثِ في الحالِ الحاضرِ علينا معـشرَ المـؤمنينَ، ويكفينا في وقوعِ الخلافِ بيننا تهاجُمُ الأعداءِ علينا من كُلِّ ناحيةٍ ومكانٍ، ويلـزمُ علينا اليومَ أنْ تكونَ حادثةُ المدينةِ، وهدمُ قبورِ أئمةِ البقيعِ (عليهم السلام) الـشغلَ الشاغِلَ لنا عن كُلِّ خلافٍ، الداعيةَلكُلِّ تعاضُدٍ بيننا وأئتلافٍ، أما الحكمُ الـشرعيُّ في تلكَ المظاهرِ والمواكبِ فلا إشـكالَ في أنَّ اللطـمَ عـلى الـصدورِ، وضربَ السلاسلِ على الظهورِ، وخروجَ الجماعاتِ في الـشوارعِ والطرقـاتِ بالمـشاعلِ والأعلامِ مباحَةٌ مشروعَةٌ، بل راجحةٌ مستحبةٌ، وهي وسيلةٌ من الوسائلِ الحسينيةِ، وبابٌ من أبوابِ سفينةِ النجاة، وأما الضربُ بالطبولِ والأبواقِ وأمثالِها مما لا يعـدُّ من آلاتِ اللهوِ والطربِ فلا ريبَ أيضاً في إباحتِها ومشروعيتِها للإعلامِ والإشعارِ وتعظيمِ الشعارِ..إلخ)).[2]

---

[1] المواكب الحسينية ص٥-٦ ، وقد طبعت هذه الرسالة سنة (١٣٤٥هـ) ضمن كتـاب (الآيات البينات في قمع البدع والضلالات).

[2] المصدر نفسه ص٩

فالشيخ من خلال ما تقدم في الاستفتاء يؤكد على جانب مهم ويدافع عليه وهو الصلاح والإصلاح والوحدة بين أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، فضلاً عن التأكيد على أنهم لم يبتدعوا أمراً خارج نطاق الشريعة المقدسة كما يحاول أنْ يصوره بعض فيكون منفذاً للأعداء، لذلك يختم (قدس سره) فتواه بنصيحة مهمة لهؤلاء بل للأجيال كُلِّها فيقول: ((ووصيتي، ونصيحتي، ورغبتي، وطلبتي من كافة إخواننا المؤمنين البصريين خصوصاً، ومَنْ في سائرِ الأقطارِ عموماً أمرانِ مهمانِ: (الأول) تنزيهُ المواكبِ الحسينيةِ الشريفةِ من كُلِّ ما يُشينها ويدنِّسُها ويخرجُ بها عن عنوانِ مظاهرِ الحزنِ والفجيعةِ .. (الثاني) ولعله أهمُّ من الأولِ ألا وهو رفضُ هذه الخلافاتِ والمشاجراتِ التي لا تعودُ إلا بالضررِ المبيدِ، والضعفِ المهلكِ علينا معاشرَ المؤمنينَ، إنما اللازمُ الحتمُ علينا سيما في هذه الأعصارِ أنْ نكونَ يداً واحدةً أمامَ العدوِّ، الذي لا يزالُ يجدُّ ويدأبُ في هدمِ بيوتٍ أذنَ اللهُ أنْ ترفعَ ويذكرَ فيها أسمه، ولعمرِ الله والحقُّ لئن أستمرَّ هذا الحالُ من تخاذُلِنا وتضاربِ بعضنا ببعض، وتكالُبِ الأعداءِ علينا من كُلِّ حدبٍ وصوبٍ، لنذهبنَّ ذهابَ أمسِ الدابرِ، ولا يبقى لهذهِ الطائفةِ أثرٌ ولا عينٌ، فاللهَ اللهَ يا عبادَ الله الصالحين في جمعِ الكلمةِ، ولَمِّ الشعثِ، وتداركِ الخطرِ قبل فواته، ورتقِ الفتقِ قبلَ أتساعِه)).[1]

---

[1] المصدر السابق ص١٠-١١ ، لا يخفى تأكيد الشيخ على ما قامت به الفرقة الوهابية من هدم قبور أئمة البقيع (عليهم السلام) في الثامن من شوال سنة ١٣٤٤هـ وما ألمَّ بالمؤمنين من هذه الفاجعة الأليمة التي ينبغي عليهم من التعاون والتوحد للوقوف أمام تلك المكائد التي يريد أنْ يقوم بها هؤلاء الأعداء تباعاً، ولعمري إنها كلمات حق خالدة مع الدهر فقد أرانا الدهر بعض مكائد هؤلاء عندما قاموا بتفجير مرقد الإمامين

إنَّ في هذه الكلمات معنىً عظيماً يغني الباحث والمطلع عـن كُـلِّ شرح وتعليق وتعقيب في جهوده (قدس سره) الإصلاحية لهذه الفرقة وللمؤمنين .. بهذا يمكننا القول إننا وبإيجاز لعلنا وفقنا في عرض ما يتعلق بهذا المحور الأول من أثر الشيخ (قدس سره) في الدفاع عن الشريعة المقدسة في جوانبها المختلفة..

العسكريين (عليهما السلام) في يوم الأربعاء الثالث والعشرين من محرم الحرام سـنة ١٤٢٧هـ وغيرها من أعمال القتل والتخريب وتفجير المساجد وقتل المؤمنين ..

المبحث الثاني

مواقفه في تطهير المجتمع الإسلامي

من مظاهر الفساد

المبحث الثاني: مواقفه في تطهير المجتمع الإسلامي من مظاهر الفساد.

إنَّ البلدان الإسلامية ومن خلال أنفتاحها على الغرب قد تـأثرت كثـيراً بالعادات التي تحملها تلك البلدان والتي سرعان ما أنتشرت في بلادنا الإسـلامية، إما عن طريق أولئك المتأثرين بهم، وإما عـن طريـق الاسـتعمار لهـذه الـبلاد والجمعيات التبشيرية التي تعمل طوال أيامها على تدمير الثقافة الإسلامية وأخلاق المسلمين كي تتغلب حينها على بلادهم، ولقد كان للعلماء أثر بارز في التـصدي لكُلِّ ذلك من خلال كلماتهم ومواعظهم وإرشاداتهم إضافة لفتاواهم التـي تؤيـد وتؤكد على الحفاظ على مبادئ الشريعة الإسلامية المقدسة، وقـد كـان الـشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (قدس سره) من أولئك الأعلام الذين أدّوا ذلـك العمل الكبير، فقد كان يشير إلى ذلك الخطر في كُلِّ مناسبة يمكن من خلالهـا أنْ يوجه إرشاداته وتعاليم لأبناء المجتمع، وذلك بطبيعة الحال أهم واجبات العلـماء وخصوصاً العاملين المصلحين منهم، فإنَّ مَنْ يتصفح سيرته ومواقفه (قدس سره) يرى ذلك بارزاً، بل صورة مشرقة من سيرة حياتـه الكريمـة، ونحـاول في هـذه المحور أنْ نذكر بعض كلماته التي تؤكد ذلك لتكون درسـاً للأجيـال في التـأسي بهؤلاء الأعلام من أعلام المسلمين والإنسانية كُلِّها اعتماداً على كتابه (المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون) [1] فإنَّ فيه من المواقف الكبيرة المشرفة التـي تظهـر عظمة هذا المصلح ودعواته الإصلاحية لإنقاذ المجتمع من الضياع.

---

[1] إنَّ هذا الكتاب قد كتبه الشيخ (قدس سره) رداً على الدعوة التي وجهت إليه من نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط في الولايات المتحدة الأمريكية لحضور مؤتمر لرجال الدين من المسلمين والمسيحيين يعقد في لبنان لبحـث القـيم الروحيـة في

يقول تحت عنوان (بغداد بالأمس وبغداد اليوم): ((هذهِ بغدادُ التي كانتْ تُسمى "دار السلام"، بغدادُ وما أدراكَ ما بغداد أدركنا من زمنٍ سلطةَ الأتراكِ عليها إلى الاحتلالِ الإنكليزيِّ مدةَ أربعينَ سنةٍ، أدركناها في عهدِ الأتراكِ ولا نبالغ فنقول: كانتْ من الفسادِ ولكنْ كان من القِلَّةِ والتكتُّمِ بحيث يصحُّ أنْ يقال: إنَّ نسبتَها ذلك اليوم إلى هذا اليومِ نسبةَ العفيفةِ الطاهرةِ إلى العاهرةِ الفاجرةِ، كُنَّا نتردُّ على بغدادَ فنجدُ فيها بقيةَ من الصالحينَ ينهونَ عن الفسادِ في الأرضِ، وتجدُ فيها بيوتَ الشرفِ والشهامةِ، والفتوةِ والزعامةِ، وفيها فئةٌ صالحةٌ من العلماءِ الأتقياءِ من السُّنَّةِ والشيعةِ، كُنَّا إذا دخلنا بغدادَ نجدُ أنفسَنا قد دخلنا بلداً إسلامياً يلوحُ عليها شعائرُ الإسلامِ، وفاعلُ المنكرِ لا يستطيعُ التجاهرُ به، فلا تجدُ حانوتاً يُباعَ فيه الخمرُ علانيةً، نعم قد يباعُ عند اليهودِ في الخفاءِ، أما اليوم فأعاذنا اللهُ من شَرِّ هذا اليومِ ومن أشرارهِ، وما أكثر الأشرارِ فيه، نعم بغدادُ اليومِ أنقلبتْ فيها المقاييسُ، وأنتهكتْ بها الحرماتُ والنواميسُ، ولبسَ الإسلامُ فيها لِبْسَ الفروِ مقلوباً، المعروفُ منكرٌ، والمنكرُ معروفٌ، والفسقُ والفجورُ، وشربُ الخمورِ والبغاءِ والزنا، والرقصِ والخَنا، والقمارِ والعهارِ يتعاطاها الصغيرُ والكبيرُ، والغنيُّ

الديانتين والأهداف المشتركة وموقف الديانتين من الشيوعية. وقد رفض الشيخ حضور المؤتمر وأجابهم بكتاب أوله: وردني كتابكم تدعوني فيه إلى الحضور في المؤتمر الذي اعتزمتم على عقده آخر نيسان في (بحمدون) لبنان ... والكتاب فيه من الموضوعات المهمة التي لا يستغني عنها كُلُّ باحثٍ عن سبل أرتقاء المجتمع الإسلامي والحفاظ على قيمه ومبادئه، فيجب أنْ تدرس تلك الكلمات التي تضمنها لا أنْ تُقرأ فقط، لأنها ثروة علمية كبيرة ولذا فقد طبع الكتاب عدة مرات، ولأهميته البالغة أعتمدناه كثيراً لعلاقته المباشرة في البحث.

والفقيرُ، كُلٌّ حسبَ إمكانه بلا نكيرٍ، والنساءُ والرجالُ على ذلكَ المنوالِ لا ناعٍ ولا آمرٍ، ولا واعظٍ ولا زاجرٍ، والمصيبةُ العظمى شيوعُ كُلِّ ذلكَ وتفشّيهِ في الشبابِ، بل والشبابِ المثقفِ فيما يزعمونَ، وأعظمُ من ذلكَ رزيةً سريانهُ حتى إلى المسؤولينَ والحاكمينَ والذين يجبُ أنْ يكونوا هُمُ المصلحينَ)).[1]

إنَّ هذه الكلمات تظهر المعاناة التي كان يعيشها العلماء، وكيف أنهم يحاولون وبكُلِّ وسيلة بيان الداء والخطر في المجتمع وتشخيصه لعله يُوَفَّق مَنْ يعالج ذلك ويقطع دابره ..

وإنَّ هذه الكلمات تؤكد دور الشيخ الإصلاحي في تطهير المجتمع من هذه المظاهر التي لا تجر إلا الويلات للشعوب فتفقد كيانها وهيبتها، فيكون المجتمع بذلك أسيراً لتلك الشهوات واللذات والتي هي -حقيقة- جيش آخر من جيوش الأعداء التي تريد هدم بنيان الأمة بتدمير أخلاق رجالها ونسائها .. وقد كان (قدس سره) يبين هذا الداء ويشير إلى مصدره حيث القوى الاستعمارية ودورها في تدمير أخلاق الشعوب لكي تسيطر عليها فنراه يقول: ((رأى [المستعمر] أنه لا يستولي على العراقِ تماماً إلا بفسادِ الأخلاقِ، والعراقُ بلطافةِ طبعهِ، وخفةِ روحهِ، سريعُ

---

[1] المصدر السابق ص٤٥-٤٦ ، إنَّ الشيخ (قدس سره) يتحسر ويبث تلك الآلام والمعاناة عن بلاده قبل ستين عاماً تقريباً، ولكن ليته يُبعث اليوم ليرى كيف أنتشر الفساد والانحلال في المجتمع، وكم أصبح عدد محلات الخمور وأماكن الفجور، وهي بمرأى ومسمع الحكومة، بل إنها تطالب بعدم فتح تلك الأماكن إلا بعد أخذ الإجازة من الدوائر المسؤولة، فلم تحارب تلك الأماكن لإعلاء كلمة الإسلام، بل تطالبهم بأخذ الإجازات الرسمية لذلك ؟!!

الاستجابةِ إلى الشهوةِ العارمةِ، والنزوةِ الراغمةِ، وكان أكبرُ هَمِّ المستعمرِ جلبَ المغرياتِ، وإثارةَ الشهواتِ، فتَمَّ له ما أرادَ، ووصلَ إلى بغيتِهِ من أقربِ الطرقِ وأسهلِها، فاستلبَ بجيشِ الشهوةِ كُلَّ ثروةٍ، وهَدَّ جميعَ قوى العراقِ بلا كفاحٍ ولا قوةٍ، وسَرَتْ هذه الروحُ الخبيثةُ، روحُ الفسادِ، فسادِ الأخلاقِ والاستهتارِ والخلاعةِ، وموتِ الشعورِ والوجدانِ، وضياعِ المقاييسِ، وهتكِ النواميسِ، إلى جميعِ الطبقاتِ، الحاكمينَ والمحكومينَ، والرعاةِ والرعيةِ)).[1]

إنَّ هذه الكلمات تظهر الأسى الذي يراه في المجتمع من قبل المستعمرين ومَنْ يؤمن بثقافته الهدامة لكيان المجتمع، ثم يعرج الشيخ مرة أخرى على بغداد عاصمة العراق، العراق بلد الأنبياء والأئمة والأولياء، بلد التشيع لأهل البيت كيف يحاول الأعداء ضربه وإفساد مدنه ليصلوا بعدها إلى كُلِّ نقطة من نقاطه كما يحدث اليوم حيث دخل الغرب بكُلِّ قواه وما يملك من أساليب الهتك والدمار إلى ديارنا، بل إلى كُلِّ بيت من بيوتنا إلا مَنْ عصمه الله من ذلك الخطر بحسن تصرف أهلها، وفي كُلِّ ذلك تأكيد على أنَّ هذا الرجل العظيم الغيور على الدين والنواميس والأخلاق، لم يكن ليرى المنكر كيف يسري في بلاد المسمين فيقف متفرجا، أو ينكر ذلك بقلبه، أو يتحدث مع أقرانه في المجالس الخاصة المغلقة، بل يرى أنه يجب عليه أنْ يؤدي دوره مهما أمكنه ذلك، فيقول (قدس سره) في مورد آخر: ((أنبثَّ في بغدادَ سيلُ العَرِمِ، من الموبقاتِ والمنكراتِ، وطغى فيضانُ الويسكي والبيرة وأخواتِها من الأشربةِ الأجنبيةِ، وأرتفعَ نقابُ الحياةِ، وصار كُلُّ واحدٍ وواحدةٍ يعملُ ما يشاءُ، نعم طغى فيضانُ هذه الموبقاتِ أكثرَ من طغيانِ

---

[1] المصدر السابق ص٤٧

فيضانِ الماءِ المتدافعِ على بغدادَ وضواحيها من الأرضِ والسماءِ، ولعلَّ هذا الفيضانَ من آثارِ ذلكَ الفيضانِ، ومن بعضِ عواقبِهِ وعقوباتِهِ، بلغَ الفسقُ والفجورُ، وسَكْبُ الخمورِ في بغدادَ إلى حَدٍّ أنَّ أهالي لندنَ وباريسَ وأمريكا يتعجبونَ من ذلكَ ولكنهم طبعاً يفرحونَ، حقاً إنَّ بغدادَ قد حَقَّتْ عليها كلمةُ العذابِ، كأنها تمثِّلُ آيةً من الكتابِ المجيدِ حيثُ يقول: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾[1])). [2]

ولم تقتصر دعواته (قدس سره) في آنتقاد المستعمرين وما يقومون به في البلاد وآتّباع بعض المغررين بهم، بل راح يخاطب المسؤولين والحكام، ويذكر لهم مواقع الفساد والإفساد في الدولة وما يجب عليهم أنْ يقوموا به من إصلاحات وقضاء حوائج الناس فيقول وهو يستعرض هموم طبقة الشعب وترف الحكومة وابتعادها عن المواطنين وعدم مبالاتها بمظاهر الفساد: ((حضرَ عندي في العهدِ القريبِ رجلٌ من المحافظينَ على آتزانهِ وإيمانهِ وصارَ يشكو من سوءِ الوضعِ، وتردّي الأحوالِ، وتلاعبِ الموظفينَ، والارتشاءِ العلني، فأردتُ تسكينَ لوعتهِ، وتهدئةِ فورتهِ نوعاً ما، فقلت له: أنتم تريدونَ حكومةً من الملائكةِ أو من المعصومينَ، وهذا لا يكونُ، والحاكمُ بشرٌ يصيبُ مرةً، ويخطئ أخرى، ويجورُ طوراً، ويعدلُ أطواراً، وعندكم في صحيحِ البخاري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما مضمونه: إذا تولى عليكُم عبدٌ حبشيٌّ أجدعُ فأطيعوه. فقال: لا يا سيدي لا نريدُ من الحاكمينَ أنْ يكونوا ملائكةً، ولا معصومينَ، ولا من العلماءِ المتقينَ، نريدُ أنْ يكونَ الحاكمُ كرجلٍ عاديٍّ، وكواحدٍ من ذوي الحِرَفِ والمهنِ،

---

[1] سورة الأنعام: الآية ٤٤

[2] المصدر السابق ص٤٩

نريده كالبقالِ والحمالِ والكاسبِ، نريدهُ أنْ لا يكونَ (حرامي) ولصاً وسارقاً ومختلساً، نريده أنْ لا يقولُ فيكذبُ، وأنْ لا يَعِدَ فيخلفُ، ولا يتولَّى فيظلمُ، ولا يؤتمنُ فيخونُ، نريدهُ أنْ لا يتكبَّرَ ويطغى ويتجبَّرَ، نريده أنْ لا يشمخَ بأنفهِ على أفرادِ الأمةِ التي يعيشُ من مالِها، ويتنعمُ على حسابِها، نعم نحن نرضى ونطيعُ لعبدٍ حبشيٍّ أجدعَ إذا كانَ عفيفاً نظيفاً، شفيقاً على مَنْ يتولَّى عليهم، ولا يستفزهُ الطمعُ، فيبيعُ أمنَهُ وبلادهُ بيعَ السلعِ.

هكذا قال لي الرجلُ واللهُ شهيدٌ على ما قالَ وأقولُ، ثم عَقَّبَ كلامه فقال: لا نريدُ منهم أنْ يلتزموا بأركانِ الدينِ، وشعائرِ الإسلامِ والمسلمينَ، أما الصومُ والصلاةُ والحجُّ والزكاةُ وزميلاتُها من أمهاتِ ومهماتِ قواعدِ الإسلامِ.

فَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ في حُجُراتِهِ ولكنْ حَديثاً ما حَديثُ الرواحِلِ [1]

الحديثُ حديثُ الصدقِ والأمانةِ، والعفةِ والصيانةِ، حديثُ الظلمِ الفاحشِ، والحكمِ الطائشِ، حديثُ الرشواتِ والمحسوبياتِ، وحرمانِ الوظائفِ لذوي الكفاءاتِ، حديثُ أنطماسِ الآدابِ الاجتماعيةِ، وأندراسِ الشعائرِ الإسلاميةِ، قد تسلَّمُ على بعضهم فلا يردُّ السلامَ، وتكتبُ إليهِ الكتابَ في دفعِ ظُلامةٍ أو مصلحةٍ عامةٍ، فلا يعيدُ الجوابَ، ولا يدري إنَّ جوابَ الكتابِ واجبٌ كجوابِ رَدِّ السلامِ)). [2]

---

[1] بيت شعر لامرئ القيس ذهب صدره مثلاً، ويضرب مثلاً لمن ذهب من ماله شيء ثم ذهب بعده ما هو أجلُّ منه. مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني ج١ ص٢٧٨

[2] المصدر السابق ص٤٩ ، نتمنى على الأخوة المسؤولين أنْ يطَّلعوا على هذه الكلمات البليغة؛ لتكون للجميع درساً فتُحمد على أساسها العواقب من خلال حسن

فعلينا من خلال هذه الكلمات أنْ نعلم بل نتيقن أنَّ الحق واحد مهما اختلفت الظروف والأزمان، والظلم والفساد واحد مهما آختلفت الأماكن والبلدان، فهذه صورة مصغرة لصور الفساد المنتشر في المجتمع الإسلامي والتي كان ينادي الشيخ بحصرها في بقعة صغيرة للقضاء عليها ووأدها في مهدها، لا كما يريد الأعداء أنْ يجعلوا من هذه البقعة قاعدة للانطلاق إلى غيرها فالمسؤولية إذاً كبيرة على العلماء والحكام قبل الرعية؛ لأنهم أصحاب الكلمة، والمسؤولون عن الحفاظ على المجتمع من كُلِّ خطر فكريٍّ يتجه نحوه.

ثم إنَّ الشيخ (قدس سره) في كلمة من كلماته، بل رائعة من روائعه الخالدة التي نحن اليوم أحوج إليها يبين بصورة جلية السبب الحقيقي وراء تدهور أوضاع المسلمين، وما يكمن وراء ذلك من العوامل، حيث يشخِّص عاملين مهمين؛ وهما الاستعمار وخدعه وفتنه، والعلماء وسكوتهم، فيقول بمرارة: ((رأى المستعمرُ أنَّ المسلمَ يستحيلُ أنْ يرضى بعارِ الاستعمارِ، ويلبسَ ثوبَ الذُّلِّ والصغارِ، ما دامَ مسلماً يعرفُ لنفسهِ عزةً وكرامةً، وشرفاً وشهامةً، وإذاً فلا مناصَ لمن يريدُ أنْ يستعمرَ المسلمينَ أنْ يسلبَهُم قبلَ كُلِّ شيءٍ عزتَهم وإيمانَهم، حتى يستطيعَ أنْ يأخذَ بسهولةٍ أموالَهُم وبلدانَهُم، وبأيِّ شيءٍ يستطيعُ سلبَ عزتِهم وكرامتِهم، وسلبَ إيمانِهم وشهامتِهم؟

(الجواب) سهلٌ واضحٌ يتوسلُ إلى ذلك بالمغرياتِ، وأشراكِ الشهواتِ، وحبائلِ المالِ والمادةِ، وهكذا فعلَ، وهكذا وصلَ، وهكذا صارتْ حالةُ المسلمينَ، وذهبَ

التصرف مع الرعية، لئلا يكتب عنهم التأريخ بمثل تلك الكلمات التي تنبعث منها رائحة الظلم والأذى والفساد والانحلال بالقيم والمبادىء !!

منها كُلُّ خُلُقٍ كريمٍ، وصارتْ طباعُها تمجُّ الفضيلةَ، وتستلذُّ الذلّةَ والرذيلةَ، ولا تجدُ لنفسِها أيَّ قيمةٍ إزاءَ الظالمينَ والمستعمرينَ، أراكَ تشكُّ في هذا أيها المسلمُ، فإنْ كُنْتَ تشكُّ فأنتَ مسلوبُ الحسِّ والشعورِ أيضاً، كما أنكَ مسلوبُ العزةِ والكرامةِ، ومما زادَ في نموِّ هذه البذرةِ، بذرةِ المهانةِ والذلةِ، وأحتقارِ النفسِ ونكرانِ الذاتِ، والانغماسِ في الشهواتِ، والعزوفِ عن صفات الأماجدِ، وأماجدِ الصفاتِ هو (الأمر الثاني) الذي تولَّدَ وتكوَّنَ من الأمر الأولِ، ذاك سكوتُ المرشدينَ والواعظينَ، بل الأصحُّ في التعبيرِ عدمُ وجودِ مرشدٍ لبيبٍ، أو واعظٍ أو خطيبٍ، يصرخُ في هذا المجتمعِ الهالكِ صرخةً توقظهُ من نومهِ، بل تحييهِ من موتهِ، وتنشرُهُ من قبرهِ، تراكمتِ العللُ والأمراضُ في جسمِ هذهِ الأممِ الإسلاميةِ، ولا طبيبٌ يتصدى لعلاجِ واحدةٍ من عللِها من سائرِ مللِها، بل سرى المرضُ إلى الأطباءِ، فالمريضُ والطبيبُ سواءٌ (رب داء سرى فأعدى الطبيب)، المغرياتُ وبواعثُ الشهواتِ بالألوفِ والملايين، والمثبطاتُ والعظاتُ ولا واحدةٌ، فكيفَ يكونُ الحالُ)).[1]

بهذه الكلمات نكون قد بيَّنا إجمالاً بعض تلك المواقف الخالدة للشيخ (قدس سره) في الدفاع عن العقيدة الشريعة المقدسة وتطهير المجتمع الإسلامي من مظاهر الفساد والغواية والانحلال والسقوط في الهاوية من حيث يعلم أو لا يعلم، وما هي مسؤوليتنا تجاه ذلك.

---

[1] المصدر السابق ص٧٣-٧٤

المبحث الثالث

مواقفه في إحياء روح الشباب المسلم

المبحث الثالث: مواقفه في إحياء روح الشباب المسلم.

إنَّ الاهتمام بالشباب أمر مهم جداً لكُلِّ مصلحٍ أو مربٍّ يبغي الصلاح في المجتمع، فأيُّ مجتمع قِوام قواه يكون بفئة الشباب من أبنائه ولابد للأمة التي تبغي رفع مستواها العلمي والاقتصادي والاجتماعي من الاهتمام بالشباب وإعطائهم فرصة المشاركة في بيان مجتمعاتهم من خلال تعليمهم العلوم النافعة التي تحصِّن مبادءهم وأخلاقهم أولاً، وثم إحياء روح الأمل والتطلع فيهم ثانياً، وليس ما نراه - عادة- من تضييع هذه الفئة في المجتمعة عن طريق اللعب واللهو وقضاء الوقت في التسارع نحو الشهوات، وبذلك نرى الضياع الحقيقي للفرد والمجتمع. فلابد إذاً من الاهتمام الجاد بهذه الشريحة للوصول بهم نحو الرقي وبناء المجتمع ولسذا يقول: ((الشبابُ هو عصبُ الحياةِ والمجتمعِ، وهو الذي يطوِّرُ المجتمعَ اقتصادياً وثقافياً وسياسياً وعسكرياً، وفي التأريخِ المعاصرِ إنَّ الشبابَ هو الذي يغيِّرُ الخارطةَ السياسيةَ في كُلِّ بقاعِ العالمِ، لأنه هو الذي يبني المجتمعَ وهو الذي يقودُ المسيراتِ لأجلِ إسقاطِ الحكوماتِ الدكتاتوريةِ)). [1]

والشيخ كاشف الغطاء (قدس سره) كان ملتفتاً جداً إلى ذلك فتراه يحاول في مناسبات شتى التأكيد على أثر هذه الفئة من المجتمع في صلاح مجتمعاتهم والوصول بها إلى الرُّقي، وخصوصاً الشباب المسلم الذي يملك إرثاً عقائدياً وفكرياً كبيرين قد تفقدها كثير من الأمم، لذا نراه (قدس سراه) يخاطب الشباب ويبين لهم حقيقة دورهم وأثرهم في المجتمع وتذكيرهم بهذه النعمة من العمر، حيث يستطيع كُلُّ واحد منهم أنْ يقدم ما لا يستطيع غيره من الإنجازات الكبيرة

---

[1] الفكر السياسي للشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ص٩٥

المادية والمعنوية، فيقول في إحدى كلماته القيمة: ((الشبابُ المثقفُ هو السلاحُ الجاهزُ للأمةِ، وقُوَّتُها وعدتُها في الشدائدِ، ولكنْ يجبُ أنْ تسيِّرها حنكةُ الشيوخِ في تجاربِهم، وتنتظمُ بعقولِ الكهولِ وأحلامِهم، كي ترتسمَ بها فضيلةُ الشجاعةِ والاعتدالِ، وتصونَها عن الوقوعِ في طرفِ الإفراطِ والتفريطِ من رذيلةِ الجبنِ .. أهم ما يجبُ ويلزمُ الشباب أنْ يعتصمَ بالعروةِ الوثقى من النزاهةِ والعفةِ، ولا يفسحُ لنفسهِ مجالاً للركضِ وراءَ الشبابِ فتدرجهُ إلى مراحضِ الفسوقِ وبؤرةِ المفاسدِ، فيخسرُ شرفَهُ وعزَّهُ، بل يخسرُ نفسَهُ، وتخسرُهُ الأمةُ)). [1]

من خلال هذا المقطع من كلمته (قدس سره) يبين مكانة الشباب وأهميتهم في المجتمع، ويؤكد على الالتزام بالمبادئ والأخلاق لأنها الدرع الحصين لأنفسهم من الوقوع في منزلق الشيطان، ولكن مع كُلِّ ذلك لم يغفل الإشارة إلى شيوخ المجتمع وكباره ومسؤوليتهم في توجيه الشباب نحو صلاحهم من خلال تجاربهم في الحياة، وهذا أمر مهم يجب على الكبار والآباء رعايته في توجيه الأبناء، وكأنه يريد الإشارة إلى أنَّ مسؤولية بناء المجتمع تقع على الجميع ولكن كُلٌّ يؤدي دوره من حيث ما يمكنه ذلك، فع وجود الشيوخ والعلماء والمربين تبقى فئة الشباب هي القوة الفاعلة والمنفذة لصلاح المجتمع، وهذا أمر

---

[1] مجلة الاعتدال السنة الثانية العدد الأول، تحت عنوان (الشباب) والتي جاء في مقدمتها كلمة العلامة الكبير حجة الإسلام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء إلى شباب وقد أقتبسناها من إحدى خطبه الارتجالية القيمة في البصرة، وقد باشر بجمعها وطبعها أحد الأفاضل في النجف الأشرف ربيع الأول ١٣٥٣هـ حزيران ١٩٣٤م.

واضح في الحياة العملية حيث أنَّ الأمة التي تستطيع أنْ تربي الجيل على المبادىء والأخلاق والقيم النبيلة لا تخشى أيَّ عدو أو أعتداء..[1]

ولا يخفي -كما ذكرنا- أنَّ المجتمعات الإسلامية قد ورثت مبادئ كثيرة تحافظ عليها من ذلك الانزلاق الذي يصيب الشباب أولاً لصورة هذه المرحلة التي يمرون بها، فلذا نرى أنَّ الأعداء قد رسخوا كُلَّ جهودهم وأفكارهم التدميرية نحو هذه الفئة لعلمهم أنهم عماد كُلِّ أمة، وإذا استطاعوا زلزلة ذلك العمود أو كسره انهارت بذلك أي أمة إمامهم، والشيخ (قدس سره) لم يغفل ذلك وطالما حذر المسلمين من مكائد الأعداء ودسائسهم نحو تدمير المنظومة الأخلاقية للمجتمعات الإسلامية وخصوصاً الشباب منهم، فيقول في الكلمة نفسها مخاطباً الشباب: ((وكانَ من أحدِ مكايدِ المستعمرينَ إذاعةُ الملاهي، وإباحَةُ الخمورِ، ومعداتُ الفسقِ والفجورِ في بلادِنا لتلكَ الغاية -أنزلاق الشباب- وقد ظفروا بما دَرُّوا، وبلغوا ما أرادوا)).[2]

---

[1] ومن الأمثلة العظيمة التي رأيناها في هذا الجانب هو ما تجسد في المبادىء الإسلامية من التأكيد على تربية الأبناء والمجتمع، وكثرة الروايات المباركة التي تحث على ذلك، وتبين السبل الكفيلة للنجاح، ومن ذلك التراث العظيم من وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الإمام الحسن (عليه السلام) تلك الوصية التي تضمنت درر الكَلِم في كيفية النظر إلى الأبناء، والتعامل معهم، وزرع المبادئ والفضيلة فيهم، دون تركهم وأنفسهم، لتجنب ذلك الضياع.

[2] المصدر السابق ، إنَّ على الأمة التي تريد أنْ تنقذ أجيالها من تلك المخلفات الاستعمارية أنْ تضع حلولاً جذرية للواقع المرير الذي تعيشه الأمة الإسلامية، من الانحلال والابتعاد عن قيم الشريعة الإسلامية المقدسة، و[illegible]

فهذه الكلمات -بصراحة- هي دروس تربوية وعملية لكُلِّ مجتمع يبغي صلاحه عن طريق أبنائه، حيث يجب عليه أنْ يختار لهم الطريق الواضح للوصول إلى كمالهم وتكاملهم، ولا يكون ذلك إلا بالاحتفاظ على روح الإسلام في بلادنا دون التنازل عنها واستبدالها بمبادئ الكفار والمستعمرين.

ولأهمية هذا المشروع الإصلاحي في فكر الشيخ كاشف الغطاء (قدس سره) نراه قد ضمَّن صفحات الميثاق العربي الوطني [1] ما يتعلق بالشاب العربي، وكيف يجب أنْ يكون عليه شبابنا اليوم ليحيوا أمجاد أمتهم ويحافظوا على تراثهم، ويصونوا أنفسهم وبلادهم من كُلِّ سوءٍ يُراد بهم، حيث نستمع إلى كلماته الصادرة من قلب أبٍ يخشى على أبنائه من الهلاك والضياع فيقول: ((أيها الشابُ العربيُّ إذا دخلتَ في هذه المدارسِ الشايعةِ اليومَ فإياكَ أنْ تجعلَ هَمَّكَ وأقصى أمانيكَ أنْ تطوي سنيَّ دراستِكَ لتحصلَ على وظيفةٍ تعيشُ من راتبها، وترتضعُ من أخلاقِها فتكونَ رجلاً آتّكالياً ساقطَ الهمةِ، صغيرَ النفسِ، وحقاً إنَّ هذا هو الموتُ المعجلُ للشبابِ، بل الهلاكُ المؤبَّدُ لهم، الذي يميتُ فيهم روحَ الطموحِ، وعزةَ النفسِ،

الضروف الحديثة التي تعيشها الأمم، والبرامج التي يمكن من خلالها أنْ تجذب الشباب، فينشغلوا بها، لئلا يقطف ثمار أكبادنا أعداؤنا، ومن ثَمَّ ولاتَ حينَ مَنْدَم.

[1] الميثاق العربي الوطني مجموعة كلمات قيمة لسماحة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (قدس سره) يخاطب فيها الإنسان العربي ويذكّره بأمسه العظيم، وما يجب عليه أنْ يكون ليحافظ على تأريخه ليومه، وقد جمعت هذه الكلمات في كتاب وطبعت ونشرت للفائدة العامة منها. للتفصيل ينظر: الميثاق العربي الوطني، جمع عبد الغني الخضري.

وعلوَّ الهمةِ، وأيُّ موتٍ أقتلُ للأمةِ من عدمِ تحصيلِ المالِ إلا من طريقِ التوظيف، وإذا دخلتَ المدرسةَ أي دخلتَ هذه المدارسَ فلا تقتصرْ على مناهجِ التعليمِ المقررةِ فيها، فإنَّ هذه المناهجَ كُلَّها سقيمةٌ وعقيمةٌ)).[1]

ففي الوقت نفسه عندما يحذِّرُ الشيخ (قدس سره) من الوثوب على هذه المدارس من أجل الحصول على الشهادة وضياع العمر دون الحصول على العلوم المفيدة منها، نراه يضع منهجاً علمياً وعملياً للفائدة من الدراسة على الرغم من وجوده في تلك المدارس وذلك بالاعتماد على النفس وخبرات الآخرين من المجالات العلمية المفيدة فيقول بعد ذلك: ((فَشُقْ أنتَ لنفسِكَ طريقاً، وآفتحْ بالجدِّ والنشاطِ والعملِ المتواصلِ أبواباً من الإبداعِ والاختراعِ، والتأليفِ والتصنيفِ والترجمةِ، كما فعلَ آباؤكَ العربُ من قبلُ، وكُنْ حريصاً على العلمِ العمليِّ، والفنِّ النافعِ، وآستخراجِ أسرارِ الطبيعةِ، وكنوزِ الكائناتِ، وعلى كثرة ما

---

[1] الميثاق العربي الوطني ص٦٩ ، قد يتصور مَنْ يطلع على هذه الكلمات أنَّ الشيخ معارض لأصل فتح هذه المدارس الحكومية الحديثة التي تفتحها الدولة في البلاد وذلك من خلال كلماته هذه، ولكن الحقيقة أنه ليس كذلك بل إنه معارض للمناهج العلمية التي تعرضها تلك المدارس، فلا يخفى أنَّ منها ما هو مخالف لمذهب أهل البيت (عليهم السلام)، بل مخالف في بعضها للعقيدة الإسلامية، والأخلاق العربية، والانتماء لحب الوطن، إذ تدرس المناهج المادية التي وضعها علماء الغرب وما يتلاءم مع ما يؤمنون به، وخصوصاً في مجالات التربية والنفس والاجتماع، وبالتالي فالشيخ يحذر من هذا وحق له ذلك، فإننا اليوم ورغم تلك التصريحات والدعوات من قبل العلماء والمفكرين فإنَّ المناهج التعليمية في المدارس تخلو كثيراً من المبادىء والعقائد الإسلامية، بل تخلو من الأخلاق والتربية والدعوة إليهما.

أستخرجَ فلاسفةُ الغـربِ من تلك الأسرارِ، وفتحوا من تلكَ الأقفـالِ فقـد بقـيَ ما لا يُتناهى من تلكَ الكنوزِ والدفائنِ)). [1]

إنَّ هذه الكلمات واضحة التعبير في بيان أهمية هذه المرحلة مـن العمـر والفائدة منها في العلم والعمل إضافة إلى حثه على إحياء روح الهمة لدى الـشباب في الوصول إلى أعلى المستويات العلمية وأثر ذلك في بناء الفـرد والمجتـمع، لذا فإنه يخاطبهم أيضاً بقوله: ((أيها الشبابُ العربيُّ لا أراني بحاجةٍ إلى أنْ أُعَرِّفَكَ بأنَّ نهضةَ الأممِ اليومَ، بل ومن قبلُ إنما هي على سواعِدِ فتيانِها، وقوةِ جَلَدِ شـبابِها بمعونةِ آراءِ شيوخِها، وحنكةِ كهولِها[2]، فإذا كان هَمُّكَ أيها الشبابُ حـين تـصبحُ حلقَ اللحيةِ والشاربِ أقتداءً بالأجانبِ، فتظهرُ كالغادةِ البارزةِ، والعروسِ الناجزة، فكيفَ يكونُ حالُ الأمةِ، وبمَنْ تنهضُ من كبوتِها، وتقومُ من عثارِهـا ؟ فـإذا لـم يتصلَّبِ الشبابُ في عزائمِهِ، ويخشنْ في تعيُّشِهِ، وينهضْ بالأعمالِ الجديةِ لـصالحِ أمتِهِ، ويرفضِ الترفَ والسرفَ لنيلِ الشرفِ في جميعِ أطوارِهِ، كيف يُرجى الوصولُ إلى الغايةِ، ومن طمحَتْ همتُهُ إلى المعالي هانَ عليه كُلُّ ذلكَ)). [3]

وكان من أهم الخطوات التي أتخذها الشيخ (قدس سره) في هذا المجال للحفاظ على المبادئ الإسلامية للشباب المسلم هو الدعوة إلى الدراسة الدينيـة والعلم والتعلم، لذا بادر ومن خلال مدرسة أجداده المعروفـة بـــ(مدرسـة آل

---

[1] المصدر السابق ص ٧٠

[2] وهذا ما رأيناه في هذه الأيام من قيام الشباب المسلم بثوراتـه ضـد الحكومـات الدكتاتورية التي ملأت البلدان العربية، مثل تونس ومصر وليبيا واليـمن والـسعودية والبحرين وغيرها..

[3] المصدر السابق ص٧١-٧٢

كاشف الغطاء العلمية) إلى تعليم الجيل وتخريج جيل واعٍ لأهدافه ومبادئه، خالٍ من المؤثرات الأجنبية، متحلياً بالأخلاق الفاضلة، لأنه يؤمن بأنَّ التعليم أداة فاعلة ومؤثرة في بناء الشخصية وتوجيه الفكر والسلوك الإنسان، وعلى أساس ذلك: ((فقد دعا إلى تأسيسِ مدارسَ أهليةٍ تأخذُ على عاتقِها تربيةَ النشأِ التربيةَ الصالحةَ التي تتلائمُ وروح العصرِ، وأستحضارِ معلمينَ من أهلِ الصلاحِ والفضيلةِ، فقد أمتدتْ روحُ التجديدِ عند الشيخِ لتشملَ مدرسةَ (كاشف الغطاء) التي يدرسُ فيها طلابُ العلومِ الدينيةِ، من حيث الدروسِ المنظمةِ، وأختيارِ الأساتذةِ الأكفاءِ، لتواكبَ التطورَ الحاصلَ في المدارسِ الحكوميةِ الحديثةِ، وتكونَ قادرةً على المنافسةِ، والوقوفِ أمامَ قوةِ الجذبِ للمدارسِ الحكوميةِ)). [1]

من خلال ما مضى في هذه السطور ننتهي من بيان بعض الجوانب التي لها أثر في إحياء العزيمة والروح السامية لدى الشباب المسلم.

---

[1] الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ودوره الوطني والقومي، حيدر نزار عطية السيد سلمان، ص١٨١

المبحث الرابع

مواقفه تجاه القضية السياسية

في العراق وبيان صلاحها

المبحث الرابع: مواقفه تجاه القضية السياسية في العراق وبيان صلاحها.

لقد كان لسماحة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (قدس سره) أثر واضح في الساحة العراقية وبيان ما يتعلق بصلاح أحوالها من خلال مشاركته الواسعة في بيان مواقع الخلل في الدولة العراقية أو في سياستها وتعاملها مع الدول الكبرى كأمريكا وبريطانيا وغيرها، وسعي هذه الدول لاستبعاد الشعوب الإسلامية ونهب خيراتها وجعلها تابعة لها على المستوى الداخلي والخارجي لسياستها، وقد أشار إلى ذلك (قدس سره) في إحدى كلماته بقوله: ((بعدَ الحربِ العالميةِ الأولى تفرَّقَتِ الأقطارُ العربيةُ، ضاعتْ مِنَّا فلسطينُ والاسكندرونةُ نهائياً، وأمريكا تريدُها حرباً عالمياً (لا كان ذلك) ولكن لو كانَ فليس لنا الدخول معها سوى الضررِ والخسرانِ، بل قد يكون لنا الاحتلالُ والاضمحلالُ، فإنْ كانت هي الغالبةُ فليس لنا من الغنيمةِ شيءٌ، وإنْ كانتْ مغلوبةً فالويلُ ثم الويلُ لها ولأتباعها ونحن حينئذ أولُ صريعٍ في الميدانِ)).[1]

فهذا هو الواقع الحقيقي للدول العربية، بل للدول الإسلامية فبعد عزتها وكرامتها بقوة دينها أصبحت اليوم نهباً لدول الكفر والإلحاد وما يترتب على ذلك من آثار سيئة، وعواقب وخيمة في موالاتهم وملاءاتهم، ولكن بما أنَّ الواقع كان بهذه الطريقة من تسلط تلك الدول الكبرى على هذه البلدان فيتطلب حينئذ التعامل مع تلك الدول بكُلِّ حكمة وذكاء، وذلك من خلال توجيه المجتمع نحو أخطار هذه الدول وسياسيتها وتهيأة الكوادر والنخب السياسية الكفوءة التي هَمُّها الأول

---

[1] المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون ص١٥

والأخير خدمة بلادهم والإخلاص في ذلك [١]، لذا نراه يعبر عن رأيه في التعامل مع هذا الواقع من خلال إيجاد تلك الشخصيات التي تريد خدمة بلدها حقيقة، وخدمة مصالحها من خلال حسن التصرف في خيرات البلد وتحصينه من الأخطار التي تهدده وإلا فالدول الاستعمارية تجعل تلك البلدان التي تحت سيطرتها نهباً للآخرين من خلال إضعافها وتجريدها من سلاح تدافع عن نفسها، فيقول (قدس سره): ((ويمكنُ أنْ نتعاملَ مع الدولِ الغربيةِ عندما تأتي حكوماتٌ تحسنُ النيةَ معنا، ويظهرُ لنا بوضوحٍ تغييرُ سياستِها، وإذا أردنا أنْ نتسلَّحَ حقيقةً فالحكومةُ الوطنيةُ تستطيعُ أنْ توفِّرَ من دخلِها القوميِّ، وتنظيمُ ثروتها، وتشتري أسلحةً حقيقيةً لا رمزيةً من دولٍ كثيرةٍ مستعدةٍ لبيعِ السلاحِ إلى الدولِ العربيةِ التي هي دولٌ شرعيةٌ معترَفٌ بها دولياً، يجوزُ بيعُ الأسلحةِ لها، وليست عصابةً ثائرةً)). [٢]

---

[١] وهذا هو الخط المستقيم لسيرة مراجع الدين والعلماء المخلصين في التعامل مع أبناء البلد في رعاية الشؤون الداخلية والخارجية وكل ما يصبّ في خدمة المواطن والمحافظة على كرامته، وهذه الحالة أو هذه الظروف هي نفسها التي يعيشها أبناء البلد في العراق وتوجيهات المرجعية الدينية للسياسيين في التفاني لخدمة البلاد والإخلاص في ذلك دون الخضوع والخنوع لمطالب الدول الكبرى التي تريد تلبية رغباتها وإنْ كان على أساس إذلال الشعوب ، إذاً فخط المرجعية خط واحد وواضح دون أيِّ لبسٍ أو شبهة فيه في التعامل مع هذه القضايا، وكُلُّ مَنْ يطلع على واقع تعامل المرجعية اليوم مع ممثلي الشعب في مجلس النواب وغيرهم يرى ذلك واضحاً كالشمس في رابعة النهار.

[٢] المصدر السابق ص١٦

إنَّ المتتبع والمحلل لهذه الكلمات القيمة المستنطق لها يعلم عظمة تلك النفس وما تنطوي عليه من الذكاء والحكمة والحنكة والإخلاص تجاه شعوبها وبلدانها، لأنهم يعلمون عظم المسؤولية الملقاة عليهم من قبل الله تعالى من حيث صلاح الرعية وإصلاح شؤونهم، ولكن المصيبة العظمى التي ابتليت بها الأمة الإسلامية من تسلط حكام هم صنيعة تلك الدول الكبرى قهراً على الشعوب، أو تصدي شخصيات ضعيفة للحكم تحاول أنْ تجعل من شعوبها أداة خانعة للمستعمرين من خلال تلبيتهم لكُلِّ مطالبهم، لذا فالشيخ (قدس سره) يخاطب هؤلاء الحكام أيضاً بتلك القوة نفسها ويحذرهم من تسليم أبناء أوطانهم أسرى لهؤلاء الأعداء، فلا تأخذه لومة في مخاطبة الحكومات وبيان مواطن الضعف فيهما، وكذلك مواطن القوة العظيمة التي تكمن في الشعوب لو كان مَنْ يوحِّد رُؤاها وأهدافها وقواها، وهذه من أعظم المهمات التي ينبغي على القادة القيام بها، يقول (قده سره) في هذا الجانب: ((وقد يرى البعضُ أنْ لا حولَ لنا ولا قوةَ للصمودِ على الحيادِ ضِدَّ رغبةِ الدولِ الاستعماريةِ، وهذا رأيٌ فاشلٌ، فإنَّ الذُّلَّ والخضوعَ والهوانَ لم يكن في يومٍ ما سبيلاً ينالُ به الشعبُ حَقَّهُ، والشعبُ الضعيفُ المتأخِّرُ باتحادِ أبنائِهِ وإخائِهم وإخلاصِهم وتفانيهِم في العملِ بنظامٍ وحكمةٍ يصبحُ قوياً عظيماً، وفي نفسِ الوقتِ الذي أُحَذِّرُ فيه الحُكّامَ العربَ وساستَهم من عقمِ طريقةِ الخضوعِ والاستسلامِ للدولِ الاستعماريةِ أنصحُ الشبابَ والجمهورَ في الحذرِ من الانجرارِ مع تيارِ الشيوعيةِ)).[1]

---

[1] المصدر السابق ص١٧

وفي الأمر نفسه يقول (قدس سره): ((الحكوماتُ والدولُ كُلُّها تعلمُ، أو يجبُ أنْ تعلمَ أنَّ الشعوبَ ليست اليومَ على وضعِها السابقِ كسلعٍ تُباعُ وتُشترى في الأسواقِ العالميةِ، في أسواقِ المستعمرينَ، ولا كغنائمِ حروبٍ تُقَسَّمُ سهاماً بين الفاتحينَ، المغربُ حصةُ فرنسا، والمشرقُ لإنكلترا، والجنوبُ لهولندا وإيطاليا وهكذا)).[1] بهذه الهمة العالية، والنفس الأبية، والصولات المحمدية، والحجج العلوية، كان الشيخ (قدس سره) يواجه تلك الأوضاع التي يمر بها المؤمنون في العراق من أثر السياسيات الخارجية والداخلية التي لا تريد إلا السوء والأذى بهذا البلد الإسلامي العريق، فلم يكن الشيخ (قدس سره) يرى لتلك البلدان الاستعمارية أيَّ هيبة تستوجب علينا أنْ نتعامل معها بحسن نية وإخلاص، بل يجب مواجهتهم بحقيقتهم ونواياهم التي يريدون إيجادها في مجتمعاتنا، ويلاحظ المطلع ذلك جلياً من خلال جميع كلمات الشيخ مع السياسيين أو الهيئات السياسية، ونلمس ذلك من خلال مخاطبته سفراء الدول الاستعمارية الكبرى، ومن أمثلة ذلك كلماته التي يخاطب بها السفير البريطاني الذي كان قد زار الشيخ (قدس سره)في داره حيث وصفهم بكُلِّ صراحة وقوة بأس بأنهم أساس دمار هذه الشعوب وتحت تلك الشعارات التي تُطلق باسم الحرية والتحرر والاستبداد والعبودية، ونحن نقتطف بعجالة جوابه (قدس سره) للسفير البريطاني عندما يتحدث عن نعمة مجيئهم ودخولهم العراق وتخليص العراقيين من سلطان الأتراك فيقول له: ((أنتم قُلتم لنا تعالوا خَلِّصونا من الأتراكِ فجئناكُم وبذلنا أموالَنا، وضَحَّينا رجالَنا، وهذه قبورُ جنودِ الإنكليزِ في بلادِكم تشهدُ لنا، فالتقدمُ ظاهرٌ

---

[1] المصدر السابق ص ٢٤

بمقدارٍ محسوسٍ، فقد كان الفيضانُ يستغرقُ وغرقَ أكثرُ المباني والمزارعِ، حتى كانَ الماءُ يحيطُ بقصرِ المَلكِ بعضِ السنوات .... قال: أنا أتكلَّمُ معكَ على الحقائقِ ومن صميمِ الواقعِ، وكأنكَ تتكلمُ معي بنحوٍ من المغالطةِ واللفِّ والدورانِ، نعم أعطيتمونا الاستقلالَ ولكن الاستقلالَ الكاذبَ المزيفَ الحقيقة، تلك الحقيقةُ ما تغيَّرَتْ ولا تبدَّلَتْ، وأما قولُكَ إنَّ قصرَ الملكِ كان يحيطُ به ماءُ الفيضانِ وأصبحَ آمناً من الخطرِ، فنحنُ لا يعنينا قصرَ الملكِ، وإنما يعنينا كوخَ الفلاحِ، الفلاحُ الذي من كَدِّ يمينهِ وعَرَقِ جبينهِ وضربِ مسحاتهِ تشيَّدَ قصرُ الملكِ، بل وقصرُ الكريمات -قصرُ السفيرِ الإنكليزي-)).[1]

فلا يخفى من خلال هذه الكلمات المغالطاة التي يريد أنْ يصوِّرها ذلك السفير لعلمائنا ولذلك كان هذا الرد من سماحة الشيخ (قدس سره) بمنزلة الصاعقة عليه وعلى سياساتهم الاستعمارية، لذا تراهم يزورون العلماء ويحاولون التردد عليهم لكسب ودِّهم وولائهم، وهذا لا يخفى على أدنى متأمل في مكر سياساتهم.[2]

---

[1] ينظر: محاورة الإمام المصلح كاشف الغطاء مع السفيرين البريطاني والأمريكي في بغداد. ص١٠-١٢

[2] لقد زار السفير البريطاني سماحة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (قدس سره) في يوم الأربعاء ٢٧/محرم/١٣٧٣هـ إذ لم يكن الشيخ راغباً في لقائه والتحدث معه، ولكن رغبة جماعة من المدرسيين وجملة من التلاميذ وإلحاحهم عليه على قبول مقابلته فقبل ذلك، فاجتمع معه في غرفة المطالعة أمام مكتبته العامة حيث كانت حاشدة بهيئة المدرسيين وأفاضل أهل العلم ووجهاء النجف، فاستغرقت أكثر من ساعتين وكانت فريدة في نوعها.

إضافة لكُلِّ ما تقدم من تلك المواقف مواقفه الجهادية ضد الإنكليز عام ١٩١٤م، والمواقف الوطنية الأخرى في القضية السياسية في العراق وبيان سبل صلاحها وإصلاحها.[1]

---

[1] للتفصيل ينظر: (الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ودوره الوطني والقومي)، حيدر نزار عطية. إذ بين الباحث دور الشيخ (قدس سره) في الحركة الوطنية العراقية من خلال مواقف خمسة في الفصل الثاني، وهذه المواقف: ١- دوره في حركة الجهاد ضد البريطانيين عام ١٩١٥م. ٢- دوره في أحداث العشائر عام ١٩٣٥م. ٣- دوره في حركة مايس عام ١٩٤١م. ٤- موقفه من انتفاضة الشعب عام ١٩٤٨م. ٥- موقفه من حركة الاضطرابات عام ١٩٥٢م. وكذلك ينظر: الفكر السياسي للشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، نوره كطاف هيدان، رسالة ماجستير (غير منشورة)

المبحث الخامس

مواقفه تجاه قضية فلسطين

المبحث الخامس: مواقفه تجاه قضية فلسطين.

إنَّ المتتبع لمواقف علمائنا الأعلام يرى بشكل واضح لا ريب فيه أنَّ مواقفهم الإصلاحية لم تكن مقتصرة على أتباعهم من المذهب نفسه أو من بلدانهم، بل شملت كُلَّ المسلمين وفي أنحاء البلاد الإسلامية، فالقضية الأولى التي تربط الجميع هو الدين الإسلامي ومعتقدات الشريعة المقدسة التي يجب الحفاظ عليها والدفاع عنها بكُلِّ غالٍ ونفيس، وفي التأريخ الحديث شواهد كثيرة على ذلك، ومن أهم تلك الشواهد التي نحاول تسليط الضوء عليها هو ما يتعلق بـ(فلسطين) تلك الدولة التي هي جزء مقدس من مقدسات الديانات السماوية، وجزء من البلاد العربية، فلقد كان لعلمائنا مواقف مشرفة تجاهها منذ الساعة الأولى التي تعرضت لها من الاعتداءات من قبل بلاد الكفر والمستعمرين وليومنا هذا. والشيخ كاشف الغطاء (قدس سره) واحد من أولئك الأفذاذ الذين أرغموا التأريخ أنْ يسطِّر مواقفهم العظيمة الخالدة بأحرف من نور، ولطالما كان يضمِّن كلماته مظلومية الشعب الفلسطيني المبسلم ويدافع عنهم، ولا نريد في هذا المحور بيان كُلّ تلك المواقف تجاه قضية فلسطين فإنَّ ذلك يتطلب بحثاً مستقلاً أو مجلداً خاصاً، بل نحاول ذكر بعض كلماته لتكون ذكراً لنا وعبرة، ودرساً للأمة والأجيال، فإنه (قدس سره) يعد اغتصاب الإنكليز لهذا البلد هو مصيبة كبيرة، بل طعنة في الجسد الإسلامي الواحد، وقد أكد على ذلك خلال لقائه بسفير بريطانيا في النجف الأشرف بقوله: ((نحنُ معاشِر العربِ بل والمسلمينَ عموماً وإنْ كانت قلوبُنا داميةً

منكم وقد طعنتمونا الطعنةَ النجلاءَ في الصميمِ -وما أكثر طعناتكم - ولا كهذه الطعنةِ طعنة فلسطين)). [1]

بهذه الكلمة يريد أن يبين للسفير أنَّ ديدنكم الغدر والخيانة على مدى التأريخ وها هي اليوم إحدى تلك الصفحات من ذلك الغدر في فلسطين، فلنتأمل في دقة اللفظ والوصف بقوله: (الطعنة النجلاء في الصميم).

ولقد تكرر ذلك الموقف أيضاً مع السفير الأمريكي من قبل حيث خاطبه الشيخ (قدس سره) بخصوص فلسطين بقوله: ((إنَّ الشريعةَ الإسلاميةَ الجامعةَ لجميعِ الفضائلِ تأمرُنا بإكرامِ الضيفِ، وتحيةِ الزائرينَ، والترحيبِ بالغريبِ مهما كان دينه وعنصره، عدواً كان أم صديقاً، ونحنُ تمسكاً بهذه الآدابِ نحييكَ، ونرحبُ بقدومِك وبزيارتِك، وإنْ كانت قلوبُنا داميةً منكم معاشرَ الأمريكيينَ لأنكم طعنتمونا بالصميمِ طعنةً نجلاءَ لايمكنُ السكوتُ عنها، والصبرُ عليها، وكُنّا نُسَمِّيكم أيامَ عزلتكم في بلادِكم، وعدم أختلاطِكم بالدولِ الغربيةِ، والأخذِ من أخلاقِها رجالاً مثاليينَ)). [2]

فليست قضية فلسطين في نظر الشيخ كاشف الغطاء (قدس سره) أمر وقع وقد مضى، بل كان جرحاً مؤلماً في ضميره لا يغادره أبداً، فيذكره بكُلِّ ألمٍ وحرقة لعله يرى سامعاً لكلامه فيبعث في روحهم أمل الدفاع والجهاد عن تلك المقدسات، ومقاطعة أولئك المستعمرين بأيِّ شكل من الأشكال كي يحرروا هذا الجزء المقدس من بلادهم ولكن -وللأسف- فإنَّ أكثر حكام تلك الشعوب منغمسة في

---

[1] محاورة الإمام المصلح كاشف الغطاء مع السفيرين البريطاني والأمريكي في بغداد ص٣

[2] المصدر نفسه ص١٤-١٥

لذة الكرسي والحكم والتحكم على الرعية، والخنوع والخضوع للمستعمرين دون التفكير بالكرامة والعزة، ولذا تراه (قدس سره) يعبر عن آلامه تلك بقولـه: ((مـا أُصيبَ العربُ والأمةُ الإسلاميةُ أعمَتْ أعينَهُم، وقصمتْ ظهرَها، ومزقتْ شـغافَ قلبِها، كضربةِ فلسطين، وأوجعَ وأفجعَ منها ذيولَها ومخلفاتَها، فقد كان اللازمُ بعد تلكَ الصدمةِ، والمترقبُ أنَّ الدولَ العربيةَ وهي محيطةٌ بإسرائيلَ من جميعِ أطرافِها مصر والأردن ولبنان وسوريا والحجاز، نعم كان المنتظرُ أنْ تواليَ هذه الدولُ شَنَّ الغاراتِ كُلَّ يومٍ على إسرائيلَ، وتثورَ عليهِم لأخذَ ثأرِها، وأسترجاعِ ولو السبعضِ من بلادِها التي أُخذت منها بالظلمِ والخداعِ، ولكـن ويالالأسـفِ ومـاذا يُجـدي الأسفُ أنعكستِ القضيةُ وصارتِ اليهودُ هي تمعنُ بشنِّ الغاراتِ كُلَّ يـومٍ عـلى القرى العربيةِ)).[1]

فأيُّ كلمات عظيمة هذه التي يطلقها (قـدس سره) ويطلـب مـن الأمـة الاستجابة لها لإعادة كرامتها التي شَوَّهتها تلك الصهيونية العالمية ولكن هل مـن مجيب لصرخات ودعوات المصلحين من علماء الأمة !!

بعد ما تقدم نراه (قدس سره) يقول ويتألم من ذلك الوضع في صولة مـن صولاته الخطابية العظيمة مخاطباً المستعمرين وأصحاب الـدعوات لمـؤتمرات التقريب بين الديانات وكذا الحكام العرب بقوله: ((يا هؤلاءِ العتاةِ المـردةِ، ويـا شياطينَ الأبالسةِ، أنهضوا من عثرتِكم، وأستقيلوا من خطيئـتِكم، وأخرجـوا مـن ضلالتِكم، وردُّوا الحقَّ إلى أهلِه، رُدُّوا فلسطينَ إلى أصحابِها الشرعيينَ، وأخرجوا منها الصهاينةَ، ورُدُّوا أهلَها المشرَّدينَ إليها، ثم أعقدوا المؤتمراتِ للبحـثِ عـن

---

[1] المصدر السابق ص٢٦-٢٧

المُثُلِ العُليا، والقيمِ الروحيةِ، أَما يَدٌ تسبِّحُ ويَدٌ تذبحُ، عينٌ تدمعُ وكيفَ تصرعُ، كُلُّ هذه الفضايعِ والشنايعِ التي تتجاهرُ وتتعاهرُ بها أمريكا وإنكلترا ووليدتُهم البنتُ المدلَّلةُ عندهم (إسرائيل)، كُلُّهُ عجيبٌ، بل من أعجبِ الأعاجيبِ، وأعجبُ من ذلكَ خمودُ جمرةِ العربِ، وموتُ عزائمِهم وغيرتِهم، وتفرُّقُ كلمتِهم، وتهافتُهم على التمرُّغِ على أعتابِهم، والعكوفِ على أبوابِهم، وهم يجدونَ منهم هذه المعاملةَ القاسيةَ، والإصرارَ على إذلالِهم وإهانتِهم، وترجيحَ اليهودِ عليهم)). [1]

لقد كان الشيخ (قدس سره) ينطلق تجاه قضية فلسطين من خلال منطلقات أساسية ثلاثة تحتم عليه، بل على كُلِّ مصلح أنْ يقف ذلك الموقف، وهذه المواقف يمكن أنْ تذكر كالآتي:

١ - إنها إسلامية باعتبارها جزء من العالم الإسلامي وفيها المقدسات الإسلامية فلابد والحالة هذه أنْ يقف جميع المسلمين إلى جانب الشعب الفلسطيني ومساندته.

٢ - الموقع العربي الاستراتيجي حيث تمثل قلب الوطن العربي وبالتالي تهدد كيان الأمة كلها.

٣ - إنها قضية إنسانية يشعر كل إنسان حر وصاحب ضمير بمظلومية هذا الشعب والمأساة التي يتعرض لها فيجب الدفاع عنها. [2]

فعلى أساس ذلك وغيره كانت مواقف الشيخ (قدس سره) الخالدة تجاه فلسطين من حيث كلماته وخطبه وفتاواه بالجهاد ضد الصهاينة وحضوره

---

[1] المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون ص٢٧

[2] الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ودوره الوطني والقومي ص٥٥

المؤتمرات المساندة الشعب الفلسطيني، فقد جاء في فتواه: ((أصبحَ الجهادُ في سبيلِ فلسطينَ واجباً على كُلِّ إنسانٍ، لا بحكمِ الشريعةِ والأديانِ فقط، بل بحكمِ الحِسِّ والوجدانِ، ووحيِ الضميرِ، وهِمَّةِ التفكيرِ، والخطةِ العمليةِ في ذلك هي: إنَّ مَنْ يستطيعُ اللحوقَ بمجاهدي فلسطينَ بنفسهِ فليلحقْ بهم، وإنِّي ضمينٌ أنه كالمجاهدينَ مع النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في بدر، فإنَّ المقامَ أجلى وأعلى من ذلكَ المقامِ، مقامِ شرفٍ وغيرةٍ، وحِسٍّ وشعورٍ، لا مقامِ طلبِ وثوابٍ)).[1]

لقد كانت قضية فلسطين من أهم قضايا الأمة التي يذكرها الشيخ (قدس سره)، فكان في كُلِّ مناسبة يحاول أنْ يعرِّج على ذكر فلسطين وما أصاب

---

[1] الفكر السياسي للشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ص١٩٧ ، نتمنى على علماء العامة الاطلاع على فتاوى علمائنا تجاه القضية الفلسطينية والتي تمثل صفحة مشرقة من صفحات التأريخ الإسلامي الذي تتباهى بها الأجيال على مر العصور، لا كما يريد أنْ يصوِّره بعض فقهاء السلطات بأنَّ علماء الشيعة ليس لهم أي دور تجاه فلسطين والوقوف أمام إسرائيل اللعينة وسيدتها أمريكا، فإنَّ لنا في كل عصر موقفاً تجاه أولئك المعتدين وكان من أواخرها الوقفة المشرِّفة لحزب الله في لبنان ضد الصهاينة المعتدين، ولكن وللأسف الشديد نرى مثلاً بعض فقهاء الجزيرة من الأعراب يقولون ما لا يعلمون وكانت منها فتوى أحدهم بعدم الدعاء لحزب الله اللبناني في وقفته أمام إسرائيل وتلقينهم ذلك الدرس القاسي الذي بث روح البطولة والفداء في قلوب المسلمين والعرب، فهذه هي (الطعنة النجلاء) التي يقول عنها الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (قدس سره) إذ ترى مَنْ يدافع عن إسرائيل وعملائها من الحُكام بما يسمى فتاوى شرعية !!

المسلمين من غصب إسرائيل لها بدعم من الدول الكبرى، لذا كان الشيخ يبين للناس خفايا ذلك، وما يجب عليهم من واجبات، فقال في إحدى خطبه: ((أمتحنتْ فلسطينُ بمحنةِ الصهيونيةِ منذُ أربعينَ سنةٍ، وما زالتْ الصهيونيةُ تتقدمُ، والعربُ والإسلامُ تتأخرُ، ولم أزلْ منذُ عشرينَ سنةٍ أقرعُ المنابرَ، وأقرعُ الأسماعَ بالخطبِ الناريةِ، وأنشرُ المقالاتِ الملتهبةَ في الصحفِ وغيرها، وأهيبُ بالمسلمينَ وأدعوهم إلى الوحدةِ وجمعِ الكلمةِ، أنْ يصلحوا الوضعَ بينهم لإنقاذِ فلسطينَ الداميةِ)). [1] لقد أراد الشيخ أنْ يذكر المسلمين بقضيتهم الشرعية في فلسطين من خلال الاحتفال بمولد بطل المسلمين الخالد علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي كانت له تلك المواقف العظيمة في الدفاع عن الإسلام، فسجَّلَ التأريخ لنا ذلك بأحرف من نورٍ ويجب علينا أنْ أنْ نقتدي به في هذه المناسبة، فليس الاحتفال بمولده يعني الاحتفال بذكرى ولادته فقط، بل استذكار تلك الشخصية التي كانت محوراً لتأريخ الإسلام العظيم.

بل كان يركِّز في جميع كلماته وخطبه على التمسك بالإسلام ووحدة المسلمين للوقوف صفاً واحداً بوجه أعداء الأمة، وهذا ما أكده في كلمته في المؤتمر الإسلامي في باكستان إذ يقول: ((فيا أيها المسلمون! تعلمونَ حقَّ العلمِ أنه لا يعود لكُم مْجدكُمُ وْعزكُّمُ وْمناعتكُّم وْاستقلالكُّمْ إلا برجوعِكُمْ إلى اللهِ

---

[1] قضية فلسطين الكبرى في خطب الإمام الراحل محمد الحسين كاشف الغطاء، جمع: عبد الحليم كاشف الغطاء ص١٦١ ، وهذا مقطع من خطبته في ذكرى مولد أمير المؤمنين (عليه السلام) في حسينية (باب السيف) ببغداد الثلاثاء ١٣ رجب ١٣٦٨هـ الموافق ١٩/٥/١٩٤٩م

والانقطاعِ إليهِ، وأنْ يصيرَ كُلُّ واحدٍ مِنَّا مسلماً عملاً لا قولاً، وحقيقةً لا مجازاً، وكما أنَّ العطشانَ لا يرويهِ لفظُ الماء ولو كررهُ ألفَ مرةٍ، فكذلكَ لا ينفعنا قولنا "إننا مسلمون" ولو كتبناهُ على جباهِهنا ما لم نكتبهُ في قلوبِنا، ونطبِّق على أحكامهِ جميعَ أعمالِنا، وها نحنُ وجميعُ إخواننا المدعوينَ الأماثلِ قد تحملنا أعباءَ السفرِ ومشقةَ الغربةِ، راجينَ أنْ يكونَ في هذا المؤتمرِ بهذهِ الدولةِ المباركةِ، حياةً للإسلامِ جديدةً، ونهضةً مباركةً سعيدةً، تنتعشُ بها الروحُ الإسلاميةُ التي تؤلِّفُ روحاً وحقيقةً بين العراقي واليماني والحجازي والإيراني والباكستاني، وتقرِّبهم مهما تباعدوا، وتوحدهُم مهما تعددوا)).[1]

---

[1] المصدر السابق ص١٧٧- ١٧٨ ، وهذا مقطع من خطبته في مؤتمر علماء الإسلام في باكستان يوم السبت ١٩ جمادى الأولى ١٣٧١هـ الموافق ١٩٥٢/٢/١٦م. وقد أستعرض الشيخ (قدس سره) أهم المشاكل التي يعاني منها المسلمون ويجب عليهم أنْ يعالجوها ليتوجَّهوا نحو عدوِّهم الحقيقي، وترك كُلُّ أختلاف عقائدي وقومي والتفكير بالمبدأ الأساس الذي يجمعهم ويوجب عليهم وحدتهم وهو الإسلام، إنَّ الخطب التي جمعت في هذا الكتاب تدلُّ بوضوح على عمق الفكر الإسلامي لعلماء أتباع أهل البيت (عليهم السلام) في الدفاع عن الشريعة الإسلامية، وقضايا المسلمين في كُلِّ بقاعهم، فعلى مدى تأريخ القضية الفلسطينية يرى الباحث وغيره، من المسلمين وغيرهم، الاهتمام البالغ من قبل علمائنا بذلك من خلال الفتاوى المتتالية، والمؤلفات، والخطابات، والمؤتمرات ما يجعل الإنسان المنصف أنْ يقول كلمته بأنَّ علماء الشيعة هم الذين يسيرون على المنهج الإسلامي الحقيقي الذي ينطلق من القرآن والسنة بمجاهدة الكافرين والظالمين والمعتدين دون موالاتهم والخضوع لهم، والتأريخ المعاصر خير شاهد على ذلك ، [illegible]

إنَّ هذا الخطاب يؤكّد على أهمية وعظمة الوحدة بين المسلمين في الرؤية إلى العدو المشترك لجميع المسلمين، من خلال توحيد الكلمة تحت لواء الإسلام والوقوف وقفة واحدة أمام الصهيونية العالمية التي اتخذت لها من فلسطين انطلاقة لتمزيق المسلمين، ونشر الفكر اليهودي بينهم، من خلال البرامج الثقافية الغربية، والدعوات نحو التحرر من التقاليد القديمة كما يدَّعون، حتى تأثَّر المسلمون بذلك، وهذا مرض خطير في الأمة الإسلامية قد تحدث عنه سماحة الشيخ (قدس سره) في جانبٍ آخر من كلمته ليبين للمجتمعين أين يكمن الداء، وكيف يكون العلاج، فليست الكلمات هي التي تعالج تلك الأمراض الخطيرة، والانحرافات الكبيرة، ما لم تنهض الأمة ضد الواقع المرير، إذ يقول: ((نحنُ نقولُ "إننا مسلمون" ولكن تأريخنا مسيحي، مسلمون ولكن عطلتنا يوم الأحد، مسلمون ولكن أكثرنا يتكلمُ ويتفاهمُ بالإنكليزيةِ، مسلمونَ ولكن لا نُحسنا شيئاً من العربيةِ

كاشف الغطاء (قدس سره) يرى كيف أنَّ بعض الدول الإسلامية التي تدَّعي الإسلام تتسابق لإقامة العلاقة مع الصهيونية العالمية فضلاً عن إسرائيل، وكيف يتسابقون في عقد الصفقات التجارية وشراء الأسلحة الصهيونية لضرب المسلمين، وفتح سفارات لإسرائيل في بلاد المسلمين، وتسخير فتاوى لأدعياء العلم من وعاظ بل عبيد السلاطين لخدمة أسيادهم من أجل مصالح دنيوية دنيئة، وخصوصاً تلك الدويلات التي أنشأها المستعمرون لتكسون راعية لمصالحهم، ويداً لضرب المسلمين ومعاقبتهم متى تشاء تحت ذرائع متعددة.

لغةِ القرآنِ العظيمِ والسنةِ النبويةِ، مسلمونَ ولا يهمُّنا شيءٌ من أمورِ الإسلامِ، كما تهمُّنا أمورنا الذاتية، فأين الإسلام؟ وأين شعائره يا كرام؟)). [1]

فهذه الكلمات تدلُّ على الأذى الذي يعتصر قلوب المصلحين وهم يرون المسلمين كيف يقلدون الغرب ،ويسيرون على منهجهم وطريقتهم بين المسلمين، فحقيقة إنَّ هذه الكلمات تتحدث عن أمور نعيشها في مجتمعنا، فأغلب البلدان الإسلامية -على سبيل المثال- تتعامل وفقاً للتأريخ الميلادي المسيحي وهجرت تأريخ أمتها الذي له علاقة بالهجرة النبوية الشريفة التي أسست للدولة الإسلامية العظيمة، فضلاً عن المسائل الأخرى حيث الابتعاد عن لغة القرآن في كثير من المستويات الثقافية فضلاً عن العامة !!

إننا من خلال ما تقدم يمكننا أنْ نرسم صورة ناصعة عن الموقف تجاه القضايا الإسلامية والعربية جميعها، ففلسطين أنموذج أتخذه الشيخ (قدس سره) في الدفاع عن العقيدة، ولكن الشيخ ورغم عدم الوصول بمشروعه حول فلسطين نحو طموحه في تخليص الفلسطينيين من سيطرة الصهاينة على بلدهم ولكنه أخذ يفكر كيف يتعامل مع هذا الواقع في حل هذه المشكلة، فيقول (قده سره) تحت عنوان (كيف تحل مشكلة فلسطين): ((إنَّ أختلافَ كلمةِ المسلمينَ في القرنِ السادسِ والسابعِ للهجرةِ سببُ حدوثِ الحروبِ الصليبيةِ، وغلبةِ المغولِ والترِ على الممالكِ الإسلاميةِ، وفي القرنِ الثالثِ عشرَ والرابعِ عشرَ للهجرةِ أدَّى أختلافُ كلمةِ المسلمين أيضاً إلى أبتلائِهم بالاستعمارِ الأوربيِّ، فاستولى الإنكليزُ

---

[1] المصدر السابق ص١٧٨ – ١٧٩

على مصرَ والمحمياتِ التسعِ وإماراتِ الخليجِ والعـراقِ والحجـازِ، وأسـتولتْ فرنسا على الجزائرِ وتونسِ ومراكشَ ولبنانَ وسوريا، وأختلافُ كلمةِ الدولِ العربيةِ بعدَ الحربِ العالميةِ الثانيةِ هو الذي أدَّى إلى فاجعةِ فلسطينَ وإنشاءِ دولةَ إسرائيل، والعالَمُ العربيُّ الآنَ يعرفُ جيداً أنَّ لإسرائيلَ أهدافاً أعتدائيةً، ويعرفُ أنَّ إسرائيـلَ كالنارِ الملتهبةِ تستمرُّ في حرقِ ما يجاورها، أو تخمدُ ويقـضي عليهـا، إنَّ قـضيةَ فلسطينَ في الوقتِ الحاضرِ بعد أنِ أعترفتْ بها دولٌ كثيرةٌ أصبحت معقـدةً جـداً، حَلُّها يحتاجُ إلى كثيرٍ من الحكمةِ والحذرِ، والصبرِ والشجاعةِ، ولمعالجتِها ينبغـي أنْ نأخذَ بنظرِ الاعتبارِ أموراً كثيرةً أشيرُ إلى بعضِها:

١- يجب الابتعاد عن الأقوال الفارغة والوعيد والتهديد والحـذر مـن التظـاهر بالدعوة إلى الانتقام والثأر، وينبغي الحذر مـن دسـائس الإنكليـز والأمريكـان ودحض دعايتهم التي تظهر العرب بمظهر المعتدي والمنتقم.

٢- إنَّ أصل بلائنا بإسرائيل كما ذكرنا من إنكلترا التـي كَوَّنَتهـا، وأمريكـا التـي شجعت إسرائيل وعاونتها، فخلاصنا من إسرائيل مرتبط ارتباطـاً بخلاصـنا مـن الاستعمار، فإن أستقلت الدول العربية أستقلالاً كاملاً، وتكَوَّنَت فيهـا حكومـات نزيهة مخلصة تتعاون وتتحد وتتسلح للقضاء على الخطر تهيأ الخلاص للعرب من إسرائيل.

٣- إنَّ اختلاف كلمة دول العرب هو الذي أدى إلى الكارثة ولا يتمكن العرب من إيقاف نمو إسرائيل او القضاء عليها إلا بتضامنهم وأتحادهم)).[1]

بهذه الكلمات نختم هذا المحور عن دوره (قدس سره) في قضايا البلاد الإسلامية الكبرى والتي تحدثنا فيها عن فلسطين ولم نتطرق لمواقفه في البحرين وباكستان وغيرها من الدول وذلك الضيق المجال، وتشتت البال، وضعف الحال.

وفي ختام هذا المحور نكون قد أنتهينا من كتابة هذه الصفحات المضيئة عن مواقف الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (قدس سره) في الدفاع عن المسلمين وقضاياهم والشريعة الإسلامية المقدسة، فقد حاولنا الاختصار الشديد في كُلِّ محور من تلك المحاور الخمسة، وإلا فالحديث عن هذه المحاور بتفصيل يحتاج إلى مجلد أو مجلدات متعددة حقيقية.

نتمنى أنْ تكون هذه الصفحات نافعة لأبناء أمتنا، ومذكرة لهم مسؤوليتهم تجاه ذلك، وأنْ تبعث فيهم روح الأمل للعمل بجدٍّ وإخلاصٍ، لبناء الإنسان المسلم بناء عقائدياً يمكن من خلاله أنْ يتحصَّن ليدافع عن عقيدته، ويواجه جميع الأعداء، فإنَّ في سيرة هؤلاء الأعلام من الدروس والعبر النافعة التي هي علاج للنفوس، لو أقبلَ على التأمل فيها بصدقٍ وعزيمة وإخلاص، رحم الله الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، وجميع علمائنا المصلحين، وبارك تعالى بذريتهم الطيبة التي آلت على نفسها أنْ تسير على خطى الآباء، فكانت أولى تلك الخطوات حفاظهم على ذلك التراث العلمي الكبير، وتهيأته للباحثين من خلال نشره وتحقيه، فالبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ..

---

[1] المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون ص٧٥

نسأله تعالى أنْ يتقبل مِنّا بأحسن قبوله، وأنْ يجعل جهدنا خطوة متواضعة نحو إحياء تراث الأمة الإسلامية من خلال تسليط الضوء على علماء هذه الأمة وبيان دورهم العلمي والإصلاحي والجهادي في ذلك، ونتمنى التوفيق والقبول والتسديد، إنه سميع الدعاء.

خاتمة:

-إنَّنا يمكننا أنْ نقول وبكُلِّ صراحة أنَّ المجدد الشيخ (محمد الحسين آل كاشف الغطاء) هو أمة في رجل وذلك من خلال مواقفه العظيمة التي كان يقوم بها طيلة عمره بما لا تفي بحقه الكلمات والسطور لأنَّ المواقف هي أعظم وأعظم ..

- من خلال صفحات البحث حاولنا أنْ نبين المواقف الكبيرة لعلمائنا في الدفاع عن الشريعة الإسلامية المقدسة من الناحيتين العلمية والعملية، من حيث النظرية والتطبيق في المجتمع، وهذا ما يلمسه الباحث منذ اللحظة الأولى بالاطلاع على سيرة الشيخ (قدس سره) ..

- في المبحث الأول تم تسليط الضوء على المسائل العقائدية للمسلمين والتي كان للشيخ أثر بارز فيها من حيث التعريف تارة، ومن حيث التهذيب ثانية، ومن حيث الدفاع عنها ثالثة وقد تجلى كُلُّ ذلك من خلال مؤلفاته المتعددة في هذا المجال ..

- في المبحث الثاني تم التوصل إلى الأنموذج الأمثل للنظرية الإسلامية في التعامل مع الواقع للمسلمين وقد حفَّت بهم المخاطر من كُلِّ مكان من حيث تهديد الثقافة والهوية الإسلامية، فقد كان للشيخ (قدس سره) موقف واضح وحريص في إنقاذ الثقافة الإسلامية من التشويه الذي يريده بعض الأعداء وذلك من خلال إعداد جيلٍ واعٍ من الشباب المسلم ..

- وفي المبحث الثالث تم بيان مواقع قوة المجتمعات التي تكمن عن طريق شبابها وما يجب على الأمة ومصلحيها من الاهتمام البالغ بهذه الشريحة المهمة من طبقات المجتمع وتهيأة كُلِّ ما يؤدي للحفاظ عليهم حيث أنَّ العدو دائماً يترصد بهم عن طريق نشويه الثقافة الإسلامية لدى الشباب فكانت مواقفه (قدس سره)

واضحة في علاج ذلك من خلال اهتمامه بهم ومعالجة مشاكلهم والحديث معهم حول أهمية القوة الكامنة فيهم وكيفية استثمارها ..

- وفي المبحث الرابع أثبت الشيخ (قدس سره) أنَّ الإسلام من خلال نظرياته السياسية يمكنه أنْ يبني المجتمع على أسس الصحيحة وذلك من خلال تهيأة الكوادر والقيادات التي تأخذ على عاتقها خدمة المجتمع لا أنْ تكون قياداته متخاذلة مهزومة تبحث عن مَنْ يسندها من أعداء الإسلام، فكانت كلماته ورسائله وخطاباته التي يوجِّهها للسياسيين العراقيين كلها تثبت مواقفه الخالدة في الدفاع عن هذا البلد المسلم الذي تحيط به القوى الاستعمارية من كُلِّ جانب طمعاً في خيراته وثرواته، فمواقفه واضحة وصريحة وليس فيها أيَّ مجاملة على حساب المصلحة العامة لأبناء المجتمع ..

- وفي المبحث الخامس رأينا ولمسنا تلك الروح الجهادية المتفانية في خدمة قضايا الأمة الإسلامية، ومن أهم قضاياها في التأريخ الحديث هو ما تعرضت له فلسطين فراح يصدح بمعاناة الشعب الفلسطيني في كُلِّ نادٍ علميٍّ واجتماعي وسياسي وغيره ليعرف الأمة ما حلَّ بها بسبب تخاذلها وتفرقتها وانشغالها وضعفها أمام العدو، فكانت كلماته ومواقفه وفتاواه كالجيش الرابض على حدود البلاد الإسلامية أمام الأعداء..

- إننا ومن خلال ما تقدم نستطيع القول أنَّ الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء استطاع من خلال تلك السيرة العطرة أنْ يقدم أنموذجاً متكاملاً عن علماء المسلمين وما يجب أنْ يتوفر فيه العالم من صفات وملكات ليكون دائماً في طليعة المدافعين عن المبادىء الإسلامية والقدوة في المجتمع لأبنائه، فلا يقف مع

طائفته فقط بل يكون همه الأول هو الشريعة المقدسة وتوحيد المسلمين والدعوة للتوحيد مهما أمكن لبناء المجتمع الإسلامي والوقوف أمام أعدائه ..

- يرى الباحث أنَّه من الواجب على المراكز العلمية والبحثية ومؤسسات النشر الاهتمام البالغ بهذا التراث العلمي والإنساني وطباعته وترجمته إلى لغات حية للفائدة منه وجعل هذه الثروة العلمية مادة منهجية في المدارس والمعاهد والكليات لينتفع منها الجيل كُلِّه، لا أنْ يبقى ذلك التراث حبيس الرفوف والدواليب أكثر من تلك السنين التي مضت ..

- ويرى الباحث وجوب الاهتمام بتراث العلماء الآخرين وعقد المؤتمرات العلمية وإحياء تراثهم وبيانه للأمة لأنَّ في ذلك من النفع ما لا يمكنه إجماله بكلمات، بل عقد الندوات العلمية حول العلماء الأحياء وتراثهم الفكري لنؤكد لهم مدى الفائدة من علومهم وفكرهم ودعوة الآخرين للسير على ذلك المنهج، وخصوصاً الذين لهم دعوات عالمية حول الإسلام وطروحاته وأفكاره ..

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. آفاق التجديد الإسلامي (أعلام وتيارات)، الدكتور إبراهيم العاتي، (دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).

٢. الآيات البينات في قمع البدع والضلالات (المواكب الحسينية)، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، (المطبعة العلوية، النجف، ١٣٤٥هـ، د.ط).

٣. أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة، السيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي، (مط الحيدرية، النجف، ط٢، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م).

٤. أصل الشيعة وأصولها، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، تحقيق: علاء آل جعفر، (مط ستارة، الناشر: مؤسسة الإمام علي "عليه السلام"، قم، ط١، ١٤١٥هـ).

٥. أصل الشيعة وأصولها، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، تحقيق: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، (مط أحمدي، الناشر: مكتبة اعتماد الكاظمي، طهران، ط١، ١٣٨٥هـ ٢٠٠٦م).

٦. الأعلام، خير الدين الزِّرِكْلي، (دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م).

٧. تحرير المجلة، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، (المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٥٩هـ، د.ط).

٨. الدعوة الإسلامية إلى مذهب الإمامية، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، (مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣٢٨هـ، د.ط).

٩. شعراء الغري، علي الخاقاني، (مط الحيدرية، النجف، ١٣٧٤هـ ١٩٥٥، د.ط).

١٠. طبقات أعلام الشيعة، الشيخ أغا بزرك الطهراني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م).

١١. عقود حياتي (من العقد الأول إلى العقد الثامن)، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، تحقيق: أمير الشيخ شريف الشيخ محمد الحسين، (الناشر: مدرسة ومكتبة الإمام كاشف الغطاء العامة، النجف، ط١، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م).

١٢. علماء معاصرين (فارسي)، ملا علي واعظ خيابابي، (مط الإسلامية، طهران، ١٣٦٦هـ، د.ط).

١٣. قضية فلسطين الكبرى في خطب الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، عبد الحليم كاشف الغطاء، (مط النعمان، النجف، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م، د.ط).

١٤. المجالس الحسينية، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، تحقيق: أحمد علي مجيد الحلي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، الناشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، ط٢، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م).

١٥. محاورة الإمام المصلح كاشف الغطاء مع السفيرين البريطاني والأمريكي في بغداد، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، (مطبعة دار النشر والتأليف، النجف، د.ط، د.ت).

١٦. الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ودوره الوطني والقومي، حيدر نزار عطية، (الناشر: معهد العلمين للدراسات العليا، النجف، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م).

١٧. المراجعات الريحانية، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، (المطبعة الأهلية، بيروت، ١٣٣١هـ، د.ت).

١٨. المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، (المطبعة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م).

١٩. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، (مؤسسة الطبع للآستانة الرضية، مشهد، ١٣٦٦ش، د.ط).

٢٠. معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، الشيخ محمد حرز الدين، تعليق: محمد حسين حرز الدين، (منشورات مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٥هـ، د.ت).

٢١. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، (مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت).

٢٢. موسوعة طبقات الفقهاء، الشيخ جعفر السبحاني، (مط اعتماد، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق "عليه السلام"، قم، ط١، ١٤١٩هـ).

٢٣. الميثاق العربي الوطني، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، جمع عبد الغني الخضري، (المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٥٨هـ، د.ت).

٢٤. نقض فتاوى الوهابية، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، تحقيق السيد غياث طعمة، الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، (مطبعة ستارة، قم، ط١، ١٤١هـ).

٢٥. هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي، (مط شريعت، الناشر: المكتبة الحيدرية، قم، ط١، ١٤٢٦هـ).

٢٦. هوية التشيع، الشيخ أحمد الوائلي، تحقيق مؤسسة السبطين (عليهما السلام) العالمية، (الناشر: مؤسسة السبطين (عليهما السلام) العالمية، قم، ط١، ١٤٢٦هـ).

الرسائل الجامعية

- الأوضاع السياسية والاجتماعية للكاظمية في العهد العثماني الأخير (١٨١٣-١٩١٧) دراسة تأريخية، قاسم عبد الهادي الزيرجاوي، معهد التأريخ العربي والتراث العلمي، جامعة الدول العربية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

- الفكر السياسي للشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، نوره كطاف هيدان، جامعة بغداد، كلية العلوم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

المجلات

مجلة الاعتدال، السنة الثانية، العدد الأول، ربيع الأول ١٣٥٣هـ حزيران ١٩٣٤م.

المخطوطات

- الدلائل والمسائل ج٧، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، مكتبة الجوادين العامة في الصحن الكاظمي الشريف.

- أوراق من تراث خطيب الكاظمية الشيخ كاظم آل نوح، مكتبة الأستاذ الدكتور جمال عبد الرسول الدباغ.

الفهرس

مقدمة	٧
تمهيد: لمحة موجزة من سيرة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء	١٣
اسمه ونسبه	١٣
ولادته ونشأته	١٤
مؤلفاته	١٧
رحلاته ونشاطاته	١٨
وفاته ومدفنه	١٩
المبحث الأول: مواقفه في نشر العقيدة الإسلامية	٢٥
- المحور الأول: الرد على الملحدين وبيان عقيدة المسلمين	٢٥
- المحور الثاني: الرد على الوهابية	٣٢
- المحور الثالث: بيان عقائد الشيعة الإمامية	٣٦
المبحث الثاني: مواقفه في تطهير المجتمع الإسلامي من مظاهر الفساد	٤٩
المبحث الثالث: مواقفه في إحياء روح الشباب المسلم	٥٩
المبحث الرابع: مواقفه تجاه القضية السياسية في العراق وبيان صلاحها	٦٩
المبحث الخامس: مواقفه تجاه قضية فلسطين	٧٧
خاتمة	٨٩
قائمة المصادر والمراجع	٩٣
الفهرس	٩٧
ملحق	٩٩

ملحق

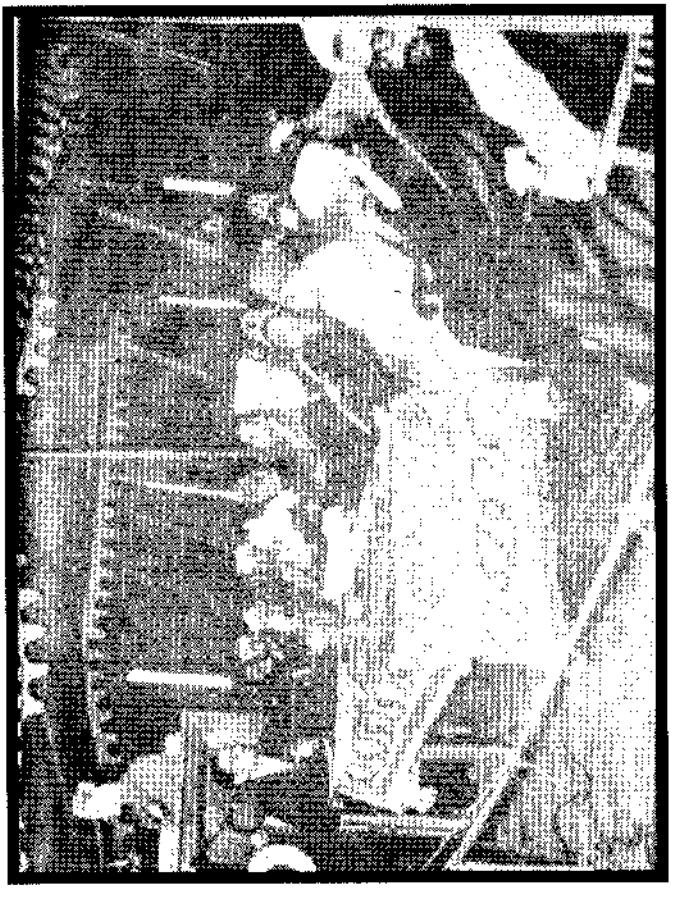

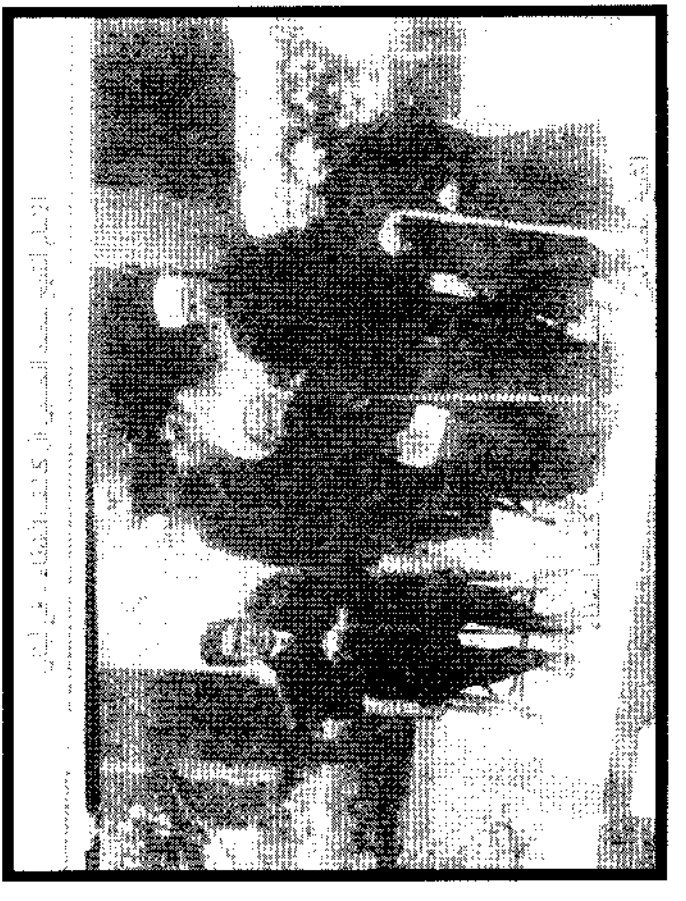

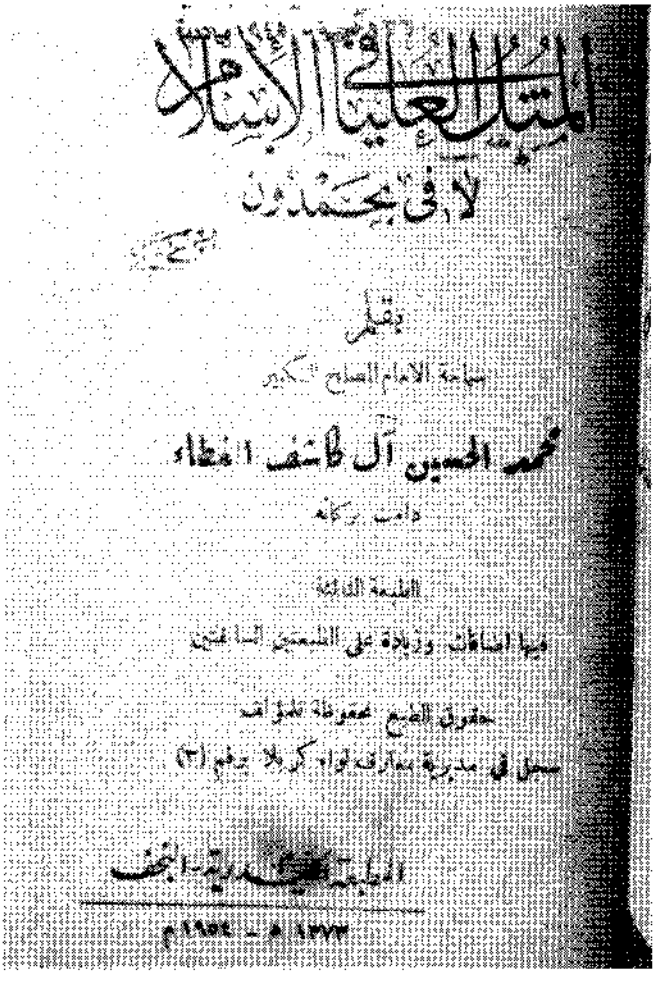
المثل العليا في الإسلام

لا في محمدون

بقلم

سماحة الإمام المصلح الكبير

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

دام بركاته

الطبعة الثانية

وفيها اضافات وزيادة على الطبعة السابقة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

سجل في مديرية معارف لواء كربلاء برقم (٣)

المطبعة الحيدرية - النجف

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

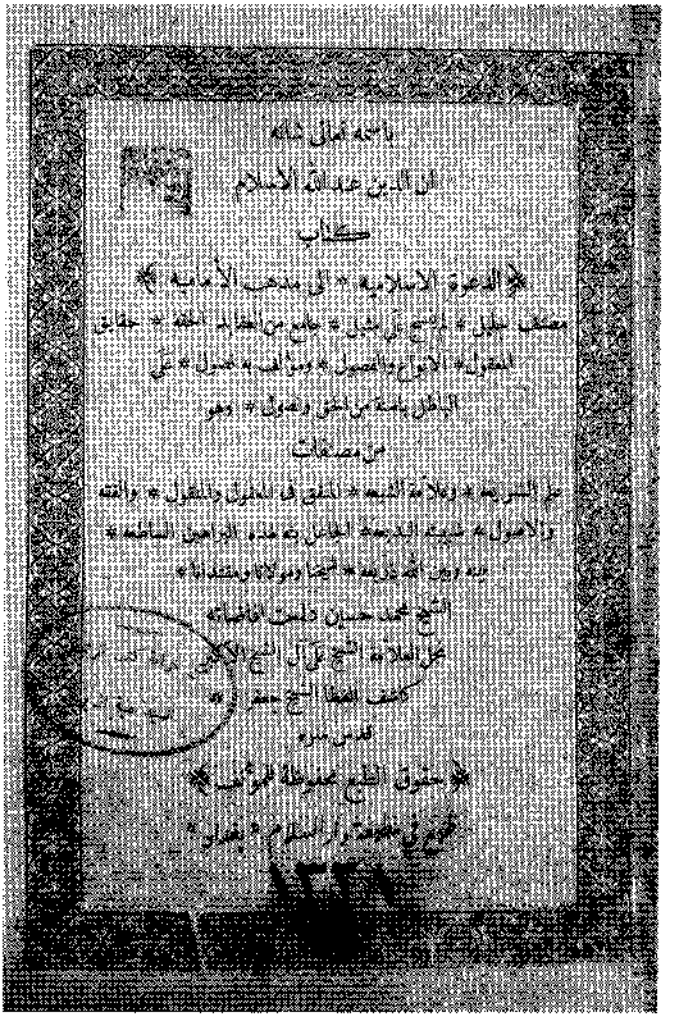
باسمه تعالى شأنه

أل الدين عبدالله الإسلام

كتاب

* الدعوة الإسلامية * في مذهب الإمامية *

مختصر جليل * رشيق المبنى * جامع من مهام الحكمة * حقائق

المعقول * الأنواع والفصول * ومؤلف * حسن * على

البساطة بمادة من الحق وصوغ * وهو

من مصنفات

علم الشريعة * وعلامة الشيعة * المتفق في المعقول والمنقول * والفقه

والأصول * شريعة الدهر * الجامع بعد هذه المراتب الشامخة *

لديه ربق الله وريحه * أنيسا ومولى ومقتدى *

الشيخ محمد حسين نجل المرحوم الشيخ

جمال العلماء الشيخ علي آل الشيخ الأكبر

كاشف الغطا الشيخ جعفر

قدس سره

* حقوق الطبع محفوظة للمؤلف *

طبع في مطبعة دار السلام * بغداد *

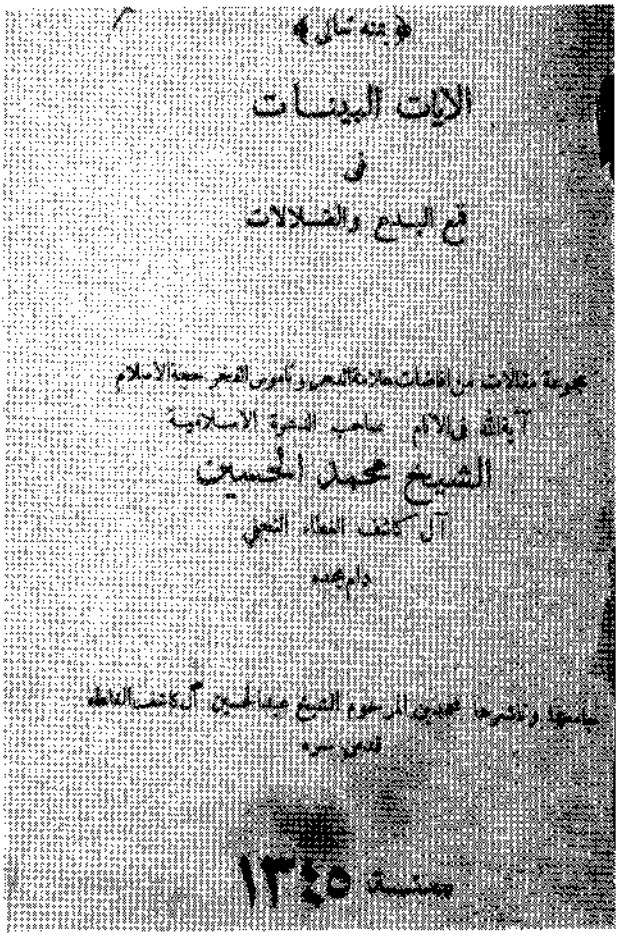
﴿ بقية مثاني ﴾
الآيات البينات
في
قمع البدع والضلالات
مجموعة مقالات من افاضات علامة العصر وناموس الدهر حجة الاسلام
آية الله في الانام صاحب الدعوة الاسلامية
الشيخ محمد الحسين
آل كاشف الغطاء النجفي
دام مجده
طبعها ونشرها نجل المرحوم الشيخ عبد الحسين آل كاشف الغطاء
لنفع سره
سنة ١٣٤٥

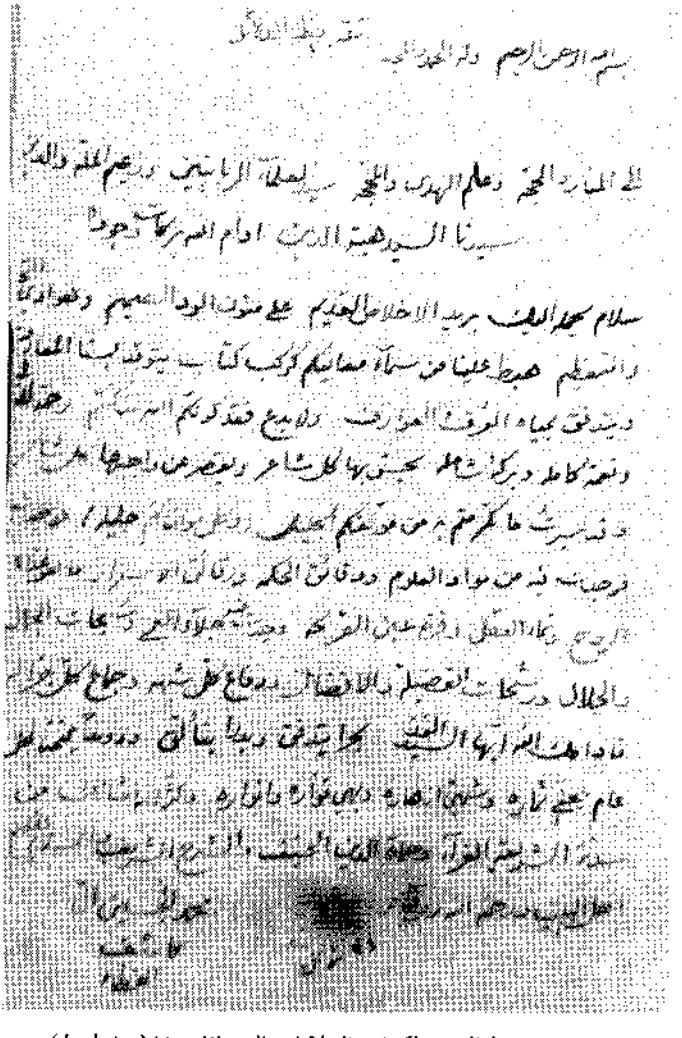

تقريض بخط الشيخ لكتاب الدلائل والمسائل ج٧ (مخطوط)

للسيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

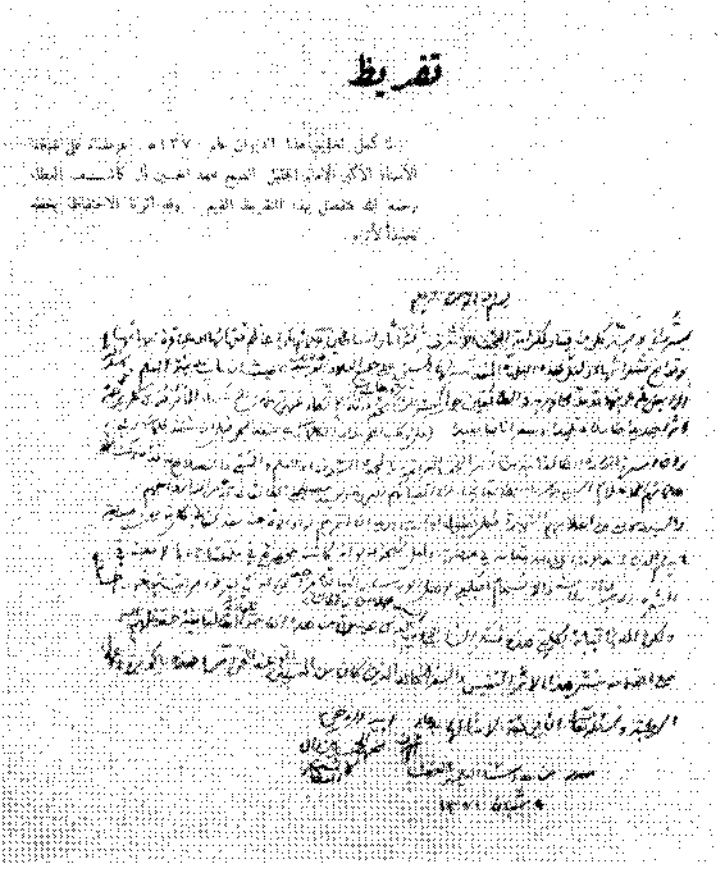
تقريظ

تقريض بخط الشيخ لديوان السيد موسى الطالقاني